السائق والخادمة
نعمة أم نقمة؟

دار القلم
دمشق

أسّسها:
محمد علي دولة رحمه الله تعالى
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

السائق والخادمة
نعمة أم نقمة؟

وصايا وحلول

الدكتور حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب

في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا

زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

دار القلم

دمشق

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

• اقتضت مشيئة الله وحكمته أن يجعل بعض عباده أغنياء وبعضهم فقراء.. وسخَّر كلّاً من الطائفتين للأخرى.. يقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف ٣٢].

والخدم نعمة من الله تعالى على المخدومين لتسهيل أمور دنياهم.. يتحمَّلون عنهم أعباء الحياة وهمومها.. ويوفرون لمخدوميهم الراحة والسعادة..

وقد كثر الجدل في الآونة الأخيرة حول وجود الخادمة لدى كل أُسرة.. فهناك من يرى عدم ضرورة وجودها.. وهناك من يعتقد أنها جزء أساسي مكمّل للأُسرة..

وليست ظاهرة الخدم هي العجب.. وإنما العجب أن تكون بهذا الحجمِ الكبير بين ظهرانِينا.. يَعُبُّ الناس منها عبّاً.. حتى غدت عند البعض عادة وتفاخراً بين الناس.. وحبّاً في الرفعةِ والتشبهِ ببَلاطِ السلاطينِ!..

روى مسلم في صحيحه: «أن رجلاً قال لعبد اللهِ بن عمرِو بن العاص: ألسنا من فقراءِ المهاجرين؟.

فقال له عبد الله: ألكَ امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم..

قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟ قال: نعم..

قال: فأنت من الأغنياء!..

قال: فإن لي خادماً..

قال: فأنت إذاً من الملوك»..

وقد امتلأت البيوت بالخدم الأجانب من رجالٍ ونساء.. مسلمين وغير مسلمين.. حتى وصَلت الحال ببعض البيوت إلى أنْ أصبح الخدم أكثر عدداً من أفراد أُسرة البيت!.

وأصبح الخدم «موضة».. فمن النساء من تريد خادمةً تخرج بها إلى السوق ليراها الآخرون.. وتذهب معها إلى كل مكان.. ليعرف الناس أنَّ لها خادمةً وشغالة..

كما يدَّعي بعض الرجال أنَّه استقدم سائقاً للعائلة.. لأنَّه مشغول عنها بأعماله الدنيوية.. والسائق متفرِّغ لخدمة الأهل.. ورهن طلبهن في أيِّ وقت من الأوقات.. إلى السوق والمدرسة.. والمولات والمنتزهات![1].

(١) الشيخ عبد العزيز بن محمد العقيل: التحذير من التنافس في جلب الخدم والسائقين (بتصرف).

فالخدم أمر واقعي في مجتمعاتنا على وجه الخصوص..

قد يكون ضرورةً.. أو مظهراً اجتماعيّاً.. أو ترفاً وتفاخراً.. لكنه أمر موجود!..

وبين حرصٍ على حُسْـــن التعامل معهم.. أو استعلاء عليهم.. أو إفراط في رعايتهم.. تتجدد المشكلات وتتنوع..

والنتيجة إما أُسرة مظلومة.. أو خادمة مظلومة..

وبين هذه وتلك.. مشاكل اجتماعية.. ومخالفات شرعية..

وانتهاكات خلُقية.. وإجحاف وضيْم..

وتضييع للذمـــم والأمانات.. وانتهاك لحقـــوق من جعلهم الله تحت أيدينا..

فمن الناس من لا يبالي بالسائقين والخدم.. امرأةٌ مع سائق.. ورجلٌ مع خادمة..

خادمة تتكشف أمام مخدوميها.. وسائقٌ تتكشف له مخدومتُه، وكأنه من أولي الإربة من الرجال.. أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء!..

تساهلٌ في الأمر واســـتخفافٌ به.. فقد قال مجاهدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا كثرتِ الخدم كثرت الشياطين»..

ووقائع المجتمعـــات وأحاديثُ المجالس تغُـــصُّ بها الحلوق وتطفح بها الآذان..

وفي الواقع كثير من القصـــص.. نضعها حية نابضة أمام عيون آباء وأمهات ما زالوا يضعون ثقتهم في سائقٍ.. قد يغتال دون علمهم براءة أطفالهم.. أو خادمة تسخر في غيابهم من كل قيمة إنسانية في التعامل مع الأولاد!..

ومن هذه الأخطار: اختلاطٌ غير منضبط.. ترافقه خلوةٌ محرَّمة.. وتوكيلٌ بتربية الأطفال للخادمـــات.. مع غياب الأبوين عن البيت لساعات.. واختلاف دين معظم الخدم عن ديننا والخادمات..

ألسنا نرى ما نتج عن هذه الظاهرة من أضرار؟!.

تشويهاً للغة عدد من الأطفال.. وإدخالها عقائد فاسدة في عقول بعضٍ آخر.. وتنشئتهم على سلوكٍ وعاداتٍ تخالف قيمنا.. ومبادئ ديننا الحنيف..

ونشر فاحشة الزنى في بعض البيوتات!..

وليس الأجنبي بأصله فقط.. بل الأجنبي بعقيدته وســـلوكه.. ولغته وقيَمه..

وكل ذلك ينعكس بأخطاره على بيوت المسلمين والمسلمات..

والأخطر من ذلك عدم إدراك كثير من المســـلمين لأبعاد هذا الخطر.. وعدم السعي للتقليل من هذه الظاهرة.. وتلافي أخطارها قدر المستطاع..

* * *

• ولا يجوز أن يكون الخدم فئة مُهانة.. فميزان الإسلام أعظم وأشمل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولم يقل ﷻ: «أغناكم».. بل المقياس التقوى.. ففيها التفاضل في الدنيا والآخرة.

وفي التاريخ نماذج رائعة من أسماء بعض الخدم:

١ ـ بلال بن رباح رضي الله عنه: وقد كان عبداً لأمية بن خلف الذي صبَّ عليه غضبه وتعذيبه.. عندما علِمَ بإسلامه.. حتى أعتقه أبو بكر رضي الله عنه.. وهذا ـ الخادم الأسود ـ لو سألتَ أي مسلم في مشارق الأرض ومغاربها: مَنْ مؤذّن الرسول عليه الصلاة والسلام؟ لأجابك بلا تردد: بلال بن رباح!.

٢ ـ سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما: وقد قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان سالم حيّاً لوليته الأمر من بعدي».

وهناك صورة كثير من هؤلاء الذين تتردد أسماؤهم.. ويُدْعى لهم إلى يوم القيامة.. مع أن أعمالهم في الدنيا أعمال صغيرة.. وفي أعين الكثير «مهينة»!..

فللسائقين والخدم حقوق.. نحترم قدْرهم.. ونحسن التعامل معهم..

نرحم غربتهم.. ونرعى مشاعرهم..

نطعمهم إذا طعمنا.. ونُفرحهم إذا فرحنا.. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إذا أتَى أحدَكم خادمُه بطعامِه، فإنْ لم يُجلسْهُ معه، فليناولْهُ أُكلةً أو أُكلتينِ، أو لُقمةً أو لُقمتينِ، فإنَّهُ وَلِيَ حرَّهُ وعِلاجَهُ**»[(١)].

(١) رواه البخاري.

وإياكم وظلم العمال والخدم.. فإن الظلم ظلمات يوم القيامة..

وإذا سولت لأحدٍ نفسُه أنه قادر على ظلم الخادم أو بخسه حقه.. فليتذكر رقابة الله عليه.. وليعلم أن للمظلوم دعوة مستجابة.. فكم من دعوة مظلوم سلبت غنيّاً ماله؟! وكم من دعوة مظلوم هدمت لذّاتٍ.. وفرّقت جماعاتٍ!.

* * *

• والخدمة في البيوت بأشكالها المتنوعة مارسها الإنسان في كل الأزمان.. وإذا كانت لا تنطوي على فعل محرم.. فهي من الأمور المشروعة في ديننا الحنيف.. بنصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.. حتى إن النبي ﷺ وصحابته الكرام كان لهم خدم..

ولكن يبدو أن الاعتماد الكبير على الخدم في البيوت.. في واقعه الحالي وفي كثير من الأحوال.. ليس إلا مظهراً من مظاهر الترف في بعض المجتمعات..

والأرقام المهولة تؤكد عظم المشكلة وخطورتها.. فأكثر من (٨٠٪) من البيوت في بعض الدول العربية بها خادمة واحدة.. وأكثر من نصف الخادمات في عدد من هذه الدول أعمارهن دون العشرين.. وتشكل الخادمات غير العربيات النسبة العظمى من الخادمات.. والغالبية منهن من الأميّات وغير المسلمات..

وارتفعت مؤخراً أصواتٌ عديدة تــرى أن الخادمة اليوم وبعد التجارب المريرة.. لم تعدْ أمراً ضروريّاً لدى كل الأُســر.. إلّا في نطاق خاص ووفقاً لظروف معينة..

ولا شك أن الأسلوب الأمثل للإســتخدام في البيوت.. يكون بتقليص الخدمة ضمن حــدود الحاجة إليها.. فــإن احتاجت ربة المنزل لتنظيــف بيتها مرة أو مرتين في الأســبوع مثلاً.. فلا مبرر لخادمة دائمة مقيمة في البيت..

وإن اضطــرت لخادمة في النهــار فقد لا تحتــاج لمبيتها في الليل.. بل يمكنها الاستعانة بخادمة محلية.. وليست مستقدمة من الخارج.. تقوم بالخدمة في النهار.. وتأوي لزوجها وأطفالها ليلاً.. فتقلل من حدوث بعض المحذورات..

ولا بد من إيجاد صيغة شرعية لهذه الظاهرة.. تبدأ من العمل على اختيــار الخادمة ذات الديــن واللغة الصحيحة.. والســلوك السوي.. ثم تأمين مكان خاص لسكناها منعزل عن أفراد الأُسرة.. لتبتعد عن الخلوة والاختلاط المحرّم.. مع تحديد ساعات عملها.. وعدم تشغيلها خارج البيت المتعاقد عليه.. وغيرها من القيود التي تحافظ على ســلامة القيم والأخلاق في المجتمع.. والتزام أفراد الأُسرة بالآداب الإسلامية المتعلقة بالخدم والخادمات.

وكذلك إقامة حملات توعية لكل من الخادم والمخدومين.. لتبيين حقوق وواجبات الخدم والمخدومين.. بوسائل الإعلام المختلفة..

فهيّا لعهد جديد بيننا وبين مخدومينـــا نبني لَبِناته على العدل والإخاء..

نهجُه (قرآنٌ حكيم).. وسنةُ سيد المرسلين.

وشعارُه (العفوُ والصفح)..

وفي جنباتِه رفقٌ ولين..

تاركاً خلفه ماضٍ أليم.. ملأته دموع المظلومين..

فلا قسوة على خدمٍ.. ولا ظلْم بهم..

ومرحباً بالعون والعطف واللين..

أردتُ من هذا الكتاب أن يكون معيناً لأفراد الأُســـرة جميعاً في معاملتهم مع الســـائق والخادمة.. يشـــخّص الـــداء.. ويضع الحلول والدواء..

أسأل الله العظيم أن يجعل فيه النفع والخير والبركات لكاتبه وناشره وقارئه.. ولا أنســـى صاحب فكرة الكتاب الأستاذ أحمد الشاطري.... فجزاه الله عني كل خير..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

جدة

١٦ ذي القعدة ١٤٣٨هـ

٨ أغسطس ٢٠١٧م

حسّان شمسي باشا

١ لماذا الخدم في البيوت؟

• أسباب عدّة أدت لوجود الخدم في المجتمع..

فقد دخل المجتمع في عدد من البلدان عصر الترف.. فتغيّرت صورة البيت من حيث البناء والأثاث والمقتنيات..

وزادت أعباء الخدمة في البيت الكبير.. فكان لا بد من خادمة تساعد ربة المنزل.. ومن ثم تطورت هذه الحاجة إلى مزيد من الخدم.. وإلى السائق والمربية..

واتسعت مجالات عمل رب الأُسرة..

وخرجت المرأة للعمل في عدد من الحالات..

وأقبلت الفتيات على مواصلة التعليم.. للحصول على الشهادات العليا.. ومن ثَمَّ العمل في المجتمعات..

وقصّرت بعض الزوجات في واجباتهن المنزلية.. مما اضطر أرباب الأُسر لاستقدام الخادمات..

وكثر عدد أفراد الأُسرة من بنين وبنات.. فزادت الحاجة إلى الخدم والخادمات..

وانتشـــرت ظاهرة التقليد والمحاكاة.. وحبّ الظهور بالمظاهر والمباهاة.. والتفاخر بكثرة الخدم والسائقين..

وتوفرت مكاتب الاســـتقدام.. وانتشرت الإعلانات التي تقدّم عروضاً مغرية للاستقدام.

ولم تقتصر ظاهــرة الحاجة إلى الخدم علــى المدن الكبيرة.. أو على أُسر معينة لها ظروف خاصة.. بل تعدّتها إلى أسرٍ محدودة العدد والدخل..

قالت الزوجةُ يوماً لزوجهــا: آه.. ما عدتُ أحتملُ أعباء خدمة البيت.. ثــم إنني أحمل شــهادة.. فكيــف تريد منــي أن أكنس وأطبخ؟!.. ثم كيف تطلب مني أن أقطع برامج زيارتي لصديقاتي من أجل العناية بالأبناء؟!..

ثم ألم تَرَ أن فلاناً قد جاء بخادمة.. وفلاناً جاء بخادمتين؟!..

وعندما وصلت الخادمة ذهبــت لصديقتها فرحة جذلة.. وهي تقول: أبشّــرك.. فقــد وصلــت الخادمــة.. وهي التي ســتعتني بالأطفال!..

صديقتهــا: إذن تســتطيعين الذهاب معــي يوميّــاً إلى معهد السكرتارية.. وصالون التجميل.. ومركز التخسيس؟!..

الزوجة لصديقتها: بالطبع نعم!..

* * *

• وتتضارب الآراء حــول هذه الظاهرة.. فمنهــم من يرى أن وجود خادمة بات أمراً ضروريّاً في هذه الأيــام وخصوصاً للمرأة الموظفة.. حيث لا تقوى على حمل المسؤوليات لوحدها..

وآخرون يرون أن وجود الخادمة أمرٌ خطيرٌ على الأُسرة.. فهي تتسبب بإيذاء الأطفال.. وتؤثر على ثقافتهم.. ناهيك عن المشاكل الزوجية التي تشتعل بسببها..

ويرى البعــض أن الخادمات يشــكلن أعباءً فــي المصاريف والتكاليف.. كما أن الأُســرة تفقد خصوصيتهــا.. فتأتي الخادمة وتتصرف في أغراض البيت كما تشاء وكأنه أصبح بيتها.. ووجود الخادمة يسبب إحراجاً.. فلا يستطيع الزوجان أن يشعرا بحريتهما في وجود شخص ثالث!..

والحقيقة أن كثرة الأولاد من بنين وبنات.. بالغين وبالغات.. ينبغي أن يقلل الحاجة إلى السائقين والخادمات.. فيحمل كل منهم جزءاً من أعمال البيوتات..

نعلّمهم مبادئ التعاون وعدم الطلب من الآخرين.. يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تسأل الناس شيئاً.. ولا ســوطك وإن سقط منك.. حتى تنزل إليه فتأخذه**»...[١].

أما عندما تكــون ربّــة المنزل منشــغلة بأطفالهــا الصغار..

(١) أخرجه أحمد، وصححه الألباني.

المتقاربين في الأعمار.. فلا تستطيع القيام بواجبات الأُسرة الأخرى.. فحينئذ تصبح الخادمة ضرورة ملحة في الحياة..

والخادمة تسهل الحياة على المرأة العاملة.. لكي تكمل باقي يومها كمربية لأطفالها.. وزوجة لزوجها..

وهناك ضرورة قصوى لوجود الخادمة في المنزل يقدّرها رب المنزل.. كوجود مريض أو كبير في السن.. أو معاق يحتاج إلى رعاية خاصة..

وحسْب مَنْ ضاقت به الحيل في عدم جلبه للخادمة مع حاجته إليها.. أن يتعزى بهذا الحديث:

روى علي رضي الله عنه: أنَّ فاطمةَ رضي الله عنها شكت ما تلقى في يدِها من الرَّحى، فأتت النبيَّ ﷺ تسأله خادماً، فلم تجدْه، فذكرت ذلك لعائشةَ، فلما جاء أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعَنا، فذهبتُ أقومُ، فقال: «**مكانَك**».

فجلس بيننا حتى وجدت بردَ قدمَيه على صدري، فقال: «**ألا أدلُّكما على ما هو خيرٌ لكما من خادمٍ؟ إذا أويتُما إلى فراشِكما، أو أخذتما مضاجعَكما، فكبِّرا ثلاثاً وثلاثين، وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادمٍ**»[(١)].

يقول ابن تيمية رحمه الله: **فيه أن من واظب على هذا الذكر لم يصبه إعياء.** اهـ.

* * *

(١) رواه البخاري.

٢ اختيار الخادمة

• قبل أن تستقدمي خادمة اســتخيري الله ﷻ.. وسلي الله أن ييسِّــر لك أمورك.. ويشــرح صدرك لما فيه كل خير.. وألحّي في الدعاء.. فالخادمة جزء من الأسرة تؤثر وتتأثر!..

• تأكدي هل أنت بحقٍّ بحاجة إليها؟..

• اجلسي مع نفسك.. وحددي بالضبط ماذا تريدين منها؟.. وما الأمور التي ســتكلّفينها بها؟.. فوجود خادمة في المنزل من غير ضرورة معناه إيجاد وقت فراغ لدى ربة المنزل وأبنائها..

فهل لهذا الفراغ أثر فــي التزود من العبــادة والطاعة.. أو في الإنتاج والعطاء؟..

• استشــيري من صديقاتك مــن تثقين بحكمتهــا ورجاحة عقلها..

• وعند طلبك للخادمة اختاري الصفات التي تناسب أُسرتك ووضعك.. وليست شروطاً تناسب أُسرة صديقتك..

فقد تناسبك خادمة كبيرة في السن.. لأن لديك صغاراً وتريدينها أن تحسن التصرف معهم.. أو لأن لديك شباباً ومراهقين في المنزل وتخشين من اختلاطها بهم... وهكذا..

فأنتِ وحدكِ تعرفين الأنسب لبيتكِ.. لكنكِ حتماً لن ترددي في اشتراط كونها مسلمة.. فالمسلمة أوْلى النساء بمعروفك.. وفتح باب الرزق لها في بلدك.. وهذا ما يؤثر على عقيدة أبنائكِ الصغار الذين يتعاملون معها..

فقد انتشر عند بعض الناس تفضيل الخادمة غير المسلمة على المسلمة..

لأنها ـ كما تقول إحداهن ـ أنظف وأكثر عملاً..

وكثير من النساء ينظرن إلى نشاط وهمة الخادمة غير المسلمة.. ويقدّمونها على المسلمة.. والله ﷻ يقول: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]..

- احرص على حسن اختيار الخادمة لأنها سوف تكون أحد أفراد منزلك.. تعيش معهم.. وتطّلع على أسرارهم.. تعايش أفراحهم وأتراحهم.. وتعلم خفايا شؤونهم..
- لا تهمل الدين وتحرص على أن تكون الخادمة ماهرة في الطبخ أو جميلة أو شابة..
- احرص أن تكون الخادمة المستقدمة مسلمة.. ولا يكفي إسلام الوثائق المسجل في جواز السفر..

• اختر خادمة تجاوزت سن المراهقة والطيش.. وحاول أن تستقدم معها زوجها أو أخاها ليكـــون محرماً لها.. وإن كان في ذلك مشـــقة ظاهرة.. فإن ذلك طاعة لله ولرسوله.. وفيه خير كثير لأهل بيتك..

• تذكَّر أن من أهم الشـــروط التي يجب توفرهـــا في الخادمة شرطان أساسيان وردا في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

فالقوة إشـــارة إلى إحكام العمل والمهارة فيه.. **والأمانة** إشارة إلى إخلاص العامل في عمله.. برعاية حـــدود الله تعالى.. ورعاية حق المخدوم..

يقول الزمخشري في تفسيره: «إذا اجتمعت هاتان الخصلتان؛ أعني: الكفايـــة والأمانة؛ في القائم بأمرك.. فقـــد فرغ بالُك.. وتم مرادُك»..

• تذكـــري أن الخادمة.. هي مســـاعدة وليســـت ربـــة منزل.. وتفهّمـــك لدورها ودورك ســـيخفف عنك كثيراً مـــن التصادمات والإخفاقات في التعامل معها..

• لا تتهاوني في هذه الأمور فلعل تهاونك أو استغفالك يمكن أن يكلفك كل شيء: زوجك وأطفالك.. بيتك وسعادتك. ولا عذر لك على الإطلاق إنْ أنتِ نصَّبتها ملكة على عرش مملكتك (بيتك وأُسرتك)!..

* * *

٣ هل هناك من مخاطر؟

تتعدد مخاطر السائق والخادمة وتتنوع.. تبعاً للشخص نفسه وللأُسرة الحاضنة..

فمن خطورة للخادمة الأنثى على الزوج والأبناء...

إلى خطورة الخادم الرجل أو السائق على الزوجة والبنات.. بل ربما على الأبناء..

ولا شك في حرمة الخلوة بين الخادم والسائق أو الخادمة وأهل البيت.. وما تجلبه من تبعات..

وما يحصل من خلوة المرأة بالسائق الأجنبي في البيت أو السيارة..

وعدم تحفظ النساء من الخروج بالزينة والطيب أمامه.. حتى كأنه أحد المحارم أو أقرب!.

وكثرة المحادثات والروحات والجيئات..

كلها تُسقط الحواجز الدينية والشرعية فيقع المحظور..

وتتوالى القصص في أسباب انحراف بعض الشباب..

في فتنة الإغراء والإغـــواء التي قد تحصل مـــن الخادمات للرجال في البيوت.. وخصوصاً الشباب منهم.. بوسائل التزين والخلوات..[١].

تدخل الخادمة البيت وكأنها من أفراد العائلة.. تكشف وجهها وشعرها.. بل ولربما تلبس الثياب القصيرة.. وتضحك وتخرج مع رب الأُســـرة!... بل وربما بقـــي الزوج معها فـــي البيت وحدهما لا ثالث لهما إلا الشـــيطان.. والله يعلم خائنـــة الأعين وما تخفي الصدور!..

فكم من خادمة حملت سفاحاً؟!.

سَلوا أقسام الولادة بالمستشفيات.. وسجلات مراكز الشرطة.. كم مشكلة نجمت عن افتتان شباب صغار أو رجال كبار بالخادمة..

وكم ساهم بعض الخدم في تسهيل أعمال الانحراف الخلقي والتستر عليها.. لاستغلالها في ابتزاز مرتكبيها ماليّاً تحت التهديد.

• خطورة على الأبناء:

ولا نغفل خطورة الخدم على الأبناء الصغـــار.. على حياتهم وعقيدتهم.. ولغتهم وأخلاقهم..

ومن الأطفال من يقلدون الخادمات في الحركات والكلمات.. فقد شوهد أطفالٌ في البيوت.. يؤشرون بعلامة التثليث على الرأس

(١) التنبيه إلى أضرار ومخاطر الخادمات والسائقين، دار خزيمة ـ الرياض.

وجانبي الصدر.. كما يرون النصرانيةَ تصلـــي وتقول للطفل: هذه الحلوى من المسيح..

ويرى الطفل الخادمة تصلّي إلى تمثال بوذا وغيره..

مساكينٌ أولئك الأطفال في تلك الأُسر.. فهم يحبون الخادمة أكثر من الأم.. لأنها هي التي تعتني بهم منذ الصباح الباكر وحتى النوم..

ومنهم من يتعرض للقسوة والإهمال خاصة في غياب الأُم..

بل وخطورة الخدم على صحة أفراد الأســرة.. وأمن البلاد.. فبعضهم عمِلَ في الدعارة السرية وتجارة المخدرات..

• ثم فكِّروا في التصور الذي تأخــذه تلك الخادمات وأولئك السائقون عن الدين الإسلامي.. وهم يرون ويعاينون تصرفات بعض المنتسبين إليه..

ولنسائل أنفسنا: أيَّ صدّ عن سبيل الله قد فعلناه بهم؟!..

وهل يمكن أن يدخل هؤلاء في ديــنٍ.. هذا حال من يزعمون أنهم حَمَلَتَه؟!.

وفي استخدام غير المسلم دعم مادي ومعنوي لهم.. خصوصاً في البلاد التي تعيش فيها الأقليات المسلمة عيشةً قاسيةً.. ويلاقون ألواناً من الاضطهاد..

• ولا ننسى الإرهاق المالي الذي يحصل لبعض أرباب الأُسر.. برواتب ونفقات السائق والخادمة..

• كما أن التعود على الخادمات قد أفرز نوعاً من الاتكالية والسلبية..

فهذه فتاة لا تستطيع جلب كأس من الماء لتشربه..

وأخرى تنوي أخذ خادمة أهلها معها بعد الزواج![1].

• ووجود الخادمة يؤثر سلباً على علاقة الأُم بأبنائها.. فقد أثبتت الدراسات أن كثيراً من المشاكل النفسية للأبناء والبنات ناتجة عن هروب الأُم من مسؤوليتها.. وترك مهامها للخادمة!..

تقول إحدى الطالبات: «يؤسفني أن أقول أن أُمي تتعامل معنا بأسلوبٍ جافٍ خالٍ من المسؤولية.. فالأبناء تحت إشراف الخادمة.. والمريض تشرف عليه ممرضة خاصة.. وإخواني تُحضر لهم معلمين خصوصيين يوميّاً لمراجعة الدروس..

أما الأُم فتقوم فقط بدفع المبالغ المستحقة..

وأما أبي فهو دائم السفر لا نراه إلا نادراً!..

فأنا أعاني من فقر عاطفي عجزت الأموال أن توفّره لي.. فالفقر ليس في قلة المال بل في انعدام العواطف».

---

(١) «أخطار تهدد البيوت» (بتصرف كبير).

• خطر الخادمات على الجوانب الأُسرية:

المظاهر السلبية للخادمة كثيرة رغم أن وجودها في المنزل قد يكون ضروريّاً في بعض الأحيان.. فبالإضافة إلى عدم حرصها على تربية الأبناء وصحتهم البدنية والنفسية.. فإن وجودها على انفراد مع الزوج قد يسبب كثيراً من المشاكل.. ويقود إلى عواقب غير حميدة..

وسلبيات الخدم تبرز بشكلٍ واضحٍ عندما تترك الأمور على الغارب.. فربة المنزل في العمل حتى أواخر النهار.. والخادمات يسرحن ويمرحن في المنزل.. ومع الأبناء بلا رقيب ولا حسيب!..

ـ وقد تصبح الخادمة وسيطاً في العائلة.. حتى إن بعض الخادمات أصبحن يقمن بحل المشكلات بين الزوج والزوجة، أو بين الأبناء والآباء.. وأصبحت الخادمة هي المحور الأساس في الأُسرة..[١].

ـ وتنقل الخادمة عاداتها وأعرافها الاجتماعية الغريبة عن مجتمعنا إلى من حولها.. وخاصة الأطفال الذين تلتصق بهم بحكم قربها منهم.. ترضعهم شيئاً من مبادئها وسلوكياتها..

ـ وقد يصبح الطفل معتمداً اعتماداً كليّاً على الخادمة.. فوجود الخادمة بالبيت يزيد من اتكال البنات عليها.. وعدم تدريب الفتيات على مسؤوليات المستقبل والواجبات المنزلية من طهي طعام.. وترتيب بيتٍ.. وكيٍّ وغسيلٍ.. وغير ذلك..

---

(١) أخطار تهدد البيوت بالانهيار.

ـ ورغـــم أن الرجل في بيته وبين أهله.. لكنه قد يشـــعر وكأنه غريب.. فلا يســـتطيع أن يزاول حياته الطبيعية مـــع أهله بتلقائية وراحة.. وسيضطر إلى ضبط كلامه ولباسه وتعامله..

ـ والسماح للخادمة بدخول غرفة النوم تصرف خاطئ.. فينبغي أن تقوم صاحبة المنـــزل بذلك.. فهناك خصوصيـــة في الملابس والحاجـــات..و أدوات الزينة والمجوهـــرات.. والوثائـــق الهامة والمســـتندات.. فمجرد دخول الخادمـــة لغرفة النوم فيـــه انتهاك للخصوصيات..وتفريـــط فـــي الأصول والحرمـــات.. وقد يجلب للأسرة المتاعب والآهات....

• سلبيات نفسية:

فوجود فـــراغ طويل عند المـــرأة.. نتيجة قيـــام الخادمة بجلِّ أعمالهـــا.. يجعلها تقضـــي معظم الوقـــت مع الجوال ووســـائل الإتصال.. أو أمام شاشة التلفاز والمسلسلات.. وما يصحب ذلك من شـــعورٍ بعدم القدرة على مجاراة الغير.. فتكثر همومها ويزداد إحساسها بالضيم.. وتجترُّ المسائل والمشاكل الصغيرة.. فتبني من الأمور الصغيرة قصوراً من الألم والغضب.. وقد تشعر أنها تعيسة.. فلا تنعم بمتعة الجلوس في البيت.. فتفقد الحياة بهجتها وجمالها..

وقد تنعكـــس آثارها على حياتهـــا الزوجية.. فتبـــدأ الطلبات الزائدة.. ويتفاقم الشعور بالوحدة.. وابتعاد الرجل عن البيت.. ثم تبدأ المحاســـبة والتدقيق.. وطلب الخروج هنا وهناك.. وتشـــتد

المشاكل والخلافات.. وتزداد الهوة بين الزوجين.. وقد ينتهي الأمر بالطلاق لاسمح الله..

ولا شك بأن جزءاً لا يستهان به من المشاكل الأسرية نابع من الاعتماد على خادمة في البيت بصورة كلية[١].

• سلبيات صحية:

ـ فقد تكون الخادمة مصابة بداء خطير.. وربما يكون من الأمراض المعدية؛ فالفحوص المستخدمة لغرض الاستقدام ليست في بعض الأحوال دقيقة.. أو ربما يكون المرض أثناء تلك الفحوص مختفياً.. أو ينشأ لاحقاً..

ـ وقد يترتب على وجود الخادمة بعض العلل الصحية بصورة غير مباشرة..

فقيام الخادمة بشؤون البيت كلها.. يدفع أفراد البيت إلى الاعتماد عليها.. والركون إلى التكاسل والخمول.. فتصاب الزوجة نتيجة قلة الحركة بشيخوخة مبكرة.. وزيادة الوزن والترهُّل.. ومرض السكر وارتفاع الضغط.. وغيره من الأمراض الشائعة.

فإذا قل جهد الزوجة وقلت حركتها.. قلت كفاءة جسمها ورشاقته.. وأصيبت بالترهل والخمول..

---

(١) سيدة البيت الجديدة.. (الخادمة ما لها وما عليها). دار القاسم للنشر ـ الرياض (بتصرف).

فمـــن نِعَمِ الله على البشـــر أن الحركة والنشـــاط اليومي يمنح الجسم قوة وحيوية.. ونشاطاً وشباباً..

• تأثيرات على المجتمع:

وقد يكون للخادمة دورٌ كبير في نقل المعلومات من البيوت.. ونشر بعض أخبار صحيحة أو مُختلَقة.. أو مفهومة بطريقة خاطئة..

وقد يتم نقل الأخبار والأســـرار بواســـطة خادمة من جنسها.. أو مع ربة البيت مباشرة أو الزائرين..

وربما تكون لهذه الأخبار آثار سلبية على العلاقات الودية مع الأقارب والجيران.. وتؤثر سلباً على الهدوء النفسي الذي تنعم به العائلة[١].

وقد تمارس بعض الخادمات الفاحشة.. سواء مع السائقين أو مع الراغبيـــن.. ويبعن أعراضهن بثمنٍ بخـــسٍ.. فإن وجودهن بلا أزواج وبلا ضوابـــط إيمانيـــة أو أخلاقية قد يدفعهـــن لمثل تلك الممارسات..

وقد تمـــارس إحداهن الســـرقة.. فهي تعرف وقـــت نومهم.. ومفاتيح أبوابهـــم.. ومواطن ضعفهم.. وقد يكـــون لها غرض في سرقة أو في انتقام..

---

(١) سيدة البيت الجديدة.

وللخادمات أثر جليّ في انتشار بعض الظواهر العقدية كتعليق الخرز على الأولاد والسيارات.. أو وضع بعض الحيوانات المجسمة في السيارات أو البيوت[١].

• خطر الخدم غير المسلمين على العقيدة:

فاختيار غير المسلم عند الاستقدام وتفضيله على المسلم أمرٌ لا يخلو من المحاذير..

وأعظم ما يكون الخطر على الأطفال.. فهم يجهلون أمر دينهم.. ويسهل التأثير عليهم.. فقد تتزعزع مبادئ الدين في نفس الطفل.. أو تغرس الخادمة في نفسه قيماً ومبادئ تخالف الإسلام.. وتعلّمه طقوس ديانتها!..

فكثيرٌ من المربيات غير مسلمات.. ومنهن مَنْ تنتمي إلى ديانات أخرى ليست سماوية.. تعبد وتقدّس الأوثان أو الأبقار.

وقد أشارت دراسةٌ إلى أن غالبية الخادمات والمربيات يمارسن الواجبات الدينية طبقاً لعقائدهن وديانتهن النصرانية أو البوذية أو الهندوسية.. ويكنَّ قدوة سيئة أمام النشء المسلم من الأطفال.

جاءت إحدى الأُمهات من عملها مبكرة على غير العادة.. لتجد طفلها الصغير أمام شمعة.. حاولت أن تكلمه مراراً فلم

(١) انظر: أحكام الرقى والتمائم، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص ٢٣٥.

يجبها.. فلما سُئل عن سبب صمته؟ قال: إنه يصلّي كما تصلّي الخادمة المجوسية!..[١].

وذكرت إحداهن أنها وجدت طفلها ذات مرة أمام الموقد.. وهو يؤدي طقوس العبادة لتلك النار!.

وقد ينشأ الطفل على حب غير المسلمين وتعظيمهم.. والنظر إليهم على أنهم هم الأفضل.. لأنه يرى ذلك من خلال تعلقه بالخادمة أو المربية.

وربما تلقنه مبادئ تلك الديانات في صور شتى.. فيتعلق الطفل بعيد الميلاد و«بابانويل».. أو رأس السنة وغير ذلك.. وإذا كانت الأسرة مساعدة على ذلك فهذا شرٌّ أكبر.. والرسول ﷺ يقول: «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ، فأبواه يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه**»[٢].

يقول أحد المبشرين: يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار.. وأن نجعل هذا العمل عمدة عملنا في البلاد الإسلامية؛ لأن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جدّاً[٣].

فالطفل لا يرى سوى الخادمة في البيت.. فهي معلمته وملهمته.. وهي سكنه وملاذه.. يتعلق بها فيتقبَّل منها كل شيء..

---

(١) خطر الخدم والسائقين، دار الوطن.
(٢) رواه البخاري.
(٣) أخطار تهدد البيوت بالانهيار.

وتستخدم بعض الخادمات أسلوب القصص على الأطفال.. في أوقات معينة.. وخاصةً عند النوم..

ولا شك أن رواية القصص على الأطفال في فترة ما قبل النوم.. يجعل تأثيرها أكثر فاعلية.. فيوجه الطفل كل اهتمامه إلى ما يسمعه فتترسخ في ذهنه.. في صورة أحاسيس وسلوكيات من حين لآخر[١].

• مخالفات عقدية عند الخادمات المسلمات:

وقد تكون هناك مخالفات عقدية عند عدد من الخادمات المسلمات.. فيعتقد البعض أن الأولياء واسطة بينهم وبين الله.. ينفعون ويضرون.. يطّلعون على الغيب.. أو معصومون..

والبعض يعتقد بأن في تعليق التمائم حماية وحرز من الضرر.. يجلب حبّ الأسرة.. ويدفع الضرر..

وقد يلجأ البعض إلى السحر لدفع الضرر.. أو لكسب ودّ الأُسرة.. أو للانتقام من سوء المعاملة وغيرها..[٢].

* * *

(١) انظر: الخادمات وتأثيرهن على التنشئة الأسرية، فاروق إسماعيل وآخرون، ص ٩٧.

(٢) أ. نادر بن بهار متعب العتيبي: المخالفات العقدية لدى العمالة المنزلية وآثارها ـ دراسة نظرية ميدانية (رسالة ماجستير)، ١٤٣١هـ.

٤ أطفالكم والخادمات

• صفاء الأطفال وسرعة تقبُّلهم:

تكمن خطورة الخدم على الأطفال في سرعة تقبلهم وصفاء أنفسهم.. فهم كالعجينة التي تتلقفها الأيدي.. وتصنع بها الشكل الذي تريد.. فبعض الخدم لا يصلح أن يترك ليرعى الغنم.. فما بالك بتولّيه شؤون تربية الأطفال؟!..

ـ ولا يمكن للخادمة أن تشعر بعاطفة الأُمومة أو القرابة مع الأطفال في منزل مخدوميها.. ولهذا فقد تعاملهم معاملتين مختلفتين: وجهٌ حنونٌ في حضور الوالدين.. ووجهٌ عابسٌ في حال الغياب..

ـ وقد تحدث فجوة بين الأُم وولدها نتيجة حرمانه المبكر من حنانها.. فيؤدي ذلك إلى ضعف تعلق الطفل بأمه.. ومن ثم يشعر بعدم الحاجة إليها.. فالخادمة توفر له جميع احتياجاته!.

وكم نرى من خادمات برفقة أطفال يتجولون داخل المراكز التجارية والترفيهية.. ولو سألتَ عن الأُم أو الأب.. ستجيبك الخادمة فوراً «بابا.. ماما مشغول»!.

أليست صحبة الأطفال من الأمور المهمة في الحياة؟!..

فكما تهتمين بغـذاء طفلك ولباسـه.. راعي أيضـاً الجانب الوجداني فيه.. لأنه الأهم والأبقى..

ورحم الله من قال:

ليس اليتيمُ مَنِ انتهى أبَواه مِنْ هـمِّ الحيـاةِ وخلَّفَـاه ذَليـلا
إنَّ اليتيـمَ هو الَّـذي تَلْقَى له أمّـاً تخلَّـتْ أو أباً مَشْـغُولا

ـ وإذا كنتِ من الأُمهات العاملات.. فلا تتصوري أن ما يحتاج إليه زوجك وأولادك هو المال وحده.. فتغـدق الأم عليهم المال تعويضاً عن تقصيرها في أداء مهامها الإنسانية.

ـ وهيهات هيهات أن يتسـاوى اللبن الصناعـي مع لبن الأُم الرباني الطبيعي..

أو يتساوى حنان الخادمة مع حنان الأُم...

وطعام الخادمة غير المسلمة.. مع طعام الزوجة المؤمنة..

وتربية المربية الجاهلة.. مع تربية الأُم الواعية..

ـ وقد تغرس الخادمة في الطفل قيماً وعادات ذميمة.. كالتدخين مثلاً أو عدم النظافة وغير ذلك.. أو تربي الطفلَ على عدم الحياء.. فالخادمات غير المسلمات لهن ثقافتهن المغايرة لثقافتنا الدينية والأخلاقية.

ـ وتلجأ بعض الخادمات إلى الصراخ وضرب الأطفال في غياب الأبوين.. ممـا يولد لديهم عقدة الخوف.. فيصابون بعقدٍ نفسـيةٍ..

وبعدم القدرة على التعبير عما يختلج في نفوسهم.. فينشؤون ضعفاء مترددين غير قادرين على اتخاذ قرارات حاسمة في حياتهم..

ـ وقد تتكتم الخادمة على سلوكيات سيئة في الأطفال.. فلا تخبر الأُم بذلك كي تكسب محبتهم..

ـ وكثيراً ما يتعارض أسلوب الخادمة في التربية مع أسلوب الأُم.. فتحاول فرض الأسلوب الشائع في بلدها أو بين أهل ملتها. ويتجه بعض الأطفال إلى العنف.. نتيجة شعورهم بالحيرة بين ما تعلّمه من الخادمة.. وما تعلَّمه من الأُم.

ـ ومن الخادمات من يمارس التدليل الزائد للطفل.. رغبة في كسب مودته وزيادة تعلقه بها.. وتجهل ما له من آثار سلبية بعد ذلك.

ـ وربما يتأخر النطق عند الطفل بسبب التأثير اللغوي للمربيات.. أو تعلم لغة الخادمة.. وليس مستغرباً أن يفقد الطفل الطلاقة في الكلام إن كان حديثه مع الخادمة ينحصر على كلمات لا هي بالعربية ولا بالأجنبية[١].

ولأن تعلق الطفل ـ وبالأخص في السنوات الأولى من عمره ـ يكون موجهاً نحو من يلبي احتياجاته الأساسية.. ومن يُشعره بالعطف والحنان.. فإن تعلّق الطفل بالخادمة يزداد كلما ابتعدت الأم عن تلبية هذه الاحتياجات.. ومن هنا تبدأ الأُمهات بالتذمر من علاقة الطفل بالخادمة.

(١) الخادمات وأثرهن على الأُسرة.

فهذه إحدى السيدات.. تصف علاقتها بأطفالها بالبرود بعد مضي عام على استقدامها للخادمة.. وبأنهم أصبحوا أكثر قرباً من الخادمة.. فأطفالها نادراً ما يلجؤون إليها حتى في تلبية طلباتهم.. تحاول جذبهم نحوها بكل الوسائل.. ولكن لم تُجْدِ نفعاً..

وقد تشعر بعض الخادمات المتزوجات بالحاجة إلى تعويض افتقادهن لأبنائهن.. فيظهرن عطفاً مبالغاً فيه تجاه الأطفال.. مما يوحي للطفل بأن هذه المربية أكثر حناناً من أمه.. وتعتقد كثير من الخادمات بأن الحماية الزائدة للطفل ترضي الأم فتزيد منها.

• كيف تتخطّى الأُم هذه المشكلة؟:

ـ حاولي أن تلبي لهم طلباتهم الأساسية.. حتى وإن عاونتْكِ الخادمة في إعدادها.. إلا أنه يجب أن تبقي أنتِ مصدر توفيرها بنظر الطفل.. وأن تفهم الخادمة بأن وظيفتها تقتصر على دور الرعاية في غياب الأم.. والمساعدة فيما يتطلب الجهد أثناء وجود الأُم.

ـ انتبهي قدر الإمكان إلى الطفل الذي يتضح عليه الميول نحو الخادمة..

تعرّفي على أسباب ذلك.. واعملي على إصلاح الخلل بحذر..

فمحاولة استعادة الطفل بإقناعه بأن الخادمة ليست من الأُسرة.. لن يكون له تأثير يُذكر.. فالطفل يتعلق بمن يلبّي احتياجاته.. وبمن لا يرفض له طلباً.. خاصة إذا اقترنت تلك التلبيات بالعطف والحنان.

ـ انتبهي إلى خجل الطفل معك.. فهو تعبير عن رفض الطفل التعاملَ مع من يُسمِعُه الأوامرَ ويتجاهله!..

ـ لا تفرضي على الطفل ما تريدينه فرضاً.. وحاولي إقناعه دون تجريح أو نقد مباشر.. واعملي في الوقت ذاته على تلبية احتياجاته بوجود الخادمة..

ـ تجنبي تنويم الأطفال مع الخادمة.. وقومي بنفسك بتلبية احتياجاتهم ليلاً..

• تأثيرات سلبية على نفسية الطفل:

قد تسهم الخادمات في إكساب الأطفال أنماطاً سلوكية غير مرغوب فيها.. نتيجة لاختلاف بيئة الخادمة عن بيئة الطفل.. وقد تكون تلك الأنماط السلوكية من غير المسموح بها في هذا السن المبكر..

وقد يتعرض الطفل لمشكلات نفسية نتيجة غياب الوالدين عنه.. وعن متطلباته واحتياجاته.. كما قد يتعرض الطفل لإيذاء بدني لضرب الخادمة له عندما يرفض الانصياع لأوامرها.. وقد يزداد ميل الأطفال للانطواء.. وكذلك الميول العدوانية عندهم..

وأثبتت الدراسات أن الطفلة قد تصبح خجولة وقليلة الكلام.. وتنفر من الكبار وخصوصاً الغرباء.. كما بينت دراسات أخرى أن الطفلة قد تصبح عدوانية مع إخوتها.. وعصبية عنيدة.. فإذا أرادت شيئاً وصمّمت عليه.. لا بد أن تحصل عليه..

وكثير من المشاكل النفسية عند الأطفال والمراهقين ناجم عن هروب الأُم من مسؤوليتها تجاه أبنائها.. كما أن كثيراً من الموظفات يتركن أطفالهن مع الخادمات أو في دور الحضانة..

- **كيف القضاء على تلك التأثيرات؟:**

ـ لا بد للآباء والأُمهات من توفير جو من الحب والرعاية والحنان للأطفال.. لتعويضهم عن الفترات التي يتغيبون فيها عن المنزل.

ـ على الآباء والأُمهات أن يحتفظوا بأدوارهم في تربية الأطفال وتنشئتهم.. وعدم التخلي عنهم..

ـ لا تتهاونوا في العبارات التي قد تتحدث بها الخادمات أمام الطفل..

ـ انتبهوا إلى الطريقة التي تتعامل بها الخادمة مع الأطفال.. والاطمئنان عليهم خلال فترات الغياب خارج المنزل.

ـ ولشعور الأطفال بأن أمهم هي التي تطبخ الطعام.. وهي التي تطعمهم وترعاهم.. وترعى البيت، تأثير بالغ في نفسيتهم..

ـ فخدمة طفلكِ وزوجكِ من أشرف المهن التي شرّفكِ اللهُ بها.. وإن لكِ من ذلك الأجر العظيم..

• خطر الخادمات على الثقافة واللغة العربية:

أكّدت الدراســات أن وجود المربية والخادمة يؤثر سلبيّاً على النمو اللغوي للطفل.. فيكتسب الطفل من خلال المربيات مفردات لغوية ركيكة غير متماسكة.. إذ تشــير الدراسات إلى أن ثمان في المئة فقط من الخادمات لديهن إلمام باللغة العربية.. فتجد العجمة سرت إلينا من لكنة الخدم..

وهناك نسبة من الأطفال يعانون من عيوب في النطق.. في ظل وجود الخادمة في المنزل كالثأثأة أو الفأفأة أو التهتهة.

وأصبح كثير من الأُسر يســتخدم كلمات من اللغة الهندية أو الأندونيسية.. وأصبحنا نذكّر المؤنث ونؤنث المذكر.. ونخلط خلطاً عجيباً كي نتفاهم معهم..

وهذه الانحرافات لها أثرٌ ســيئٌ عند الصغار[١].. فقد يكتسب الأطفــال مصطلحات ومفاهيــم لغوية غير مرغــوب فيها.. لكثرة جلوس الأطفال مع الخادمات.. وقد يكون بعضها غير أخلاقي..

* * *

(١) أخطار تهدد البيوت بالانهيار (بتصرف).

٥ جرائم الخادمات

الخادمات هاربات من الفقر.. وغياب فرص التعليم والوظائف.. يبحثن عن لقمة العيش بعيداً عن أوطانهن.. يدخلن إلى منازلنا وهن مثقلات بالهموم والأحزان لفراقهن أبناءهن وأزواجهن.. لتجد الواحدةُ منهن نفسها جزءاً من مظاهر كمالية يتمتع بها أفراد أُسرةٍ هنا وهناك..

وتتناقل وسائل الإعلام المتعددة من حين إلى آخر قصصاً عن جرائم قامت بها بعض الخادمات..

وجرائم الخدم تعددت وتنوعت.. صارخة أن نبحث لها عن حلول..

فمن حالات قتل نادرة.. إلى تعذيب أطفال.. ومن ضرب وتحرش.. إلى سرقة وهروب..

وقد تهرب الخادمة طمعاً في زيادة راتبٍ.. أو بسبب التحرش الجنسي.. أو إهانة متكررة من سيدة المنزل.. أو ضربٍ مبرّح.. أو تأخيرٍ في الراتب وغير ذلك..

وقد يتم استغلالهن في أعمال الدعارة وغيرها..

وهناك حالات من الانتحار يُقدم عليها عدد من الخادمات[١]..

ويتناول الناس مثل تلك الحكايات بصور متعددة.. ولكن هذه القصص على قلَّتها.. تشكل هاجساً مقلقاً عند أفراد بعض الأُسر.. وتصبح الأسرة في حالة طوارئ عند الشك بتلك المواقف..

وللأطفال النصيبُ الأوفر عند الرغبة بالإضرار بهم.. وخاصة عند توتر الجو بين الخادمة وأحد أفراد الأُسرة.. فالطفل الذي بين يديها قد يكون أيسر الثغرات لدى الخادمة إنْ أرادت الانتقام.. فتضع له ما يضره في طعامه.. وربما تفننت في صور الضرر بما لا يخطر على بال.

تقول إحداهن: «أنا أم لطفلين من الذكور وأعمل معلمة.. وخلال الأعوام الثلاثة الماضية كنت أعتمد اعتماداً كليّاً على خادمة كانت مثال العمل الجاد والالتزام.. والنظافة والترتيب.. وكنت أترك الأطفال ثم أعود بعد عملي.. وبعد رحيل الخادمة عرفت من ابني الأكبر أنها كانت تضع الكاتشاب الأحمر على السكين وتقول: إنها قتلت أباها وأُمها.. وأن هذا هو دمهما.. وأنهما إذا لم يسمعا الكلام وينفذا أوامرها.. ستفعل بهما ما فعلته بوالديها..

(١) د. حمد زيد الزيد: قصص وحكايات عن السائقين والخادمات، مكتبة كنوز المعرفة ـ جدة، ١٤٣١هـ (بتصرف).

وكان الابن الأكبر وعمره خمس سنوات يكتم كل ما تقوله له خوفاً منها.

قررتُ عندها ألا أكرر الخطأ مرة أخرى.. وأن لا تكون عندي خادمة بعد الآن.. وقد أصبح ابنـــي الآن في خوف دائم.. ويرفض الأكل.. ويعاني من اضطراب النوم.. ومن التبول اللاإرادي»..

وقد كشـــفت كاميرات الڤيديو في البيوت عدداً من المآســـي بســـبب الخدم.. فمن خادمة تضع مـــواد ضارة في طعـــام العائلة كالكلوركس أو الصابون وغيرها.. إلى أخرى تضع دبوساً في منطقة من الرأس إذا صرخ الطفل.. أو تلك التي تضع الرضيع عند صراخه في الثلاجة لمدة قصيرة.. فيهدأ الطفل بسبب البرودة الشديدة.. إلى غير ذلك من الحوادث!..

وقد تهرب الخادمة من البيت لسببٍ أو لآخر.. كما قد تتسبب في انتقال الأمراض المعدية كالتهاب الكبد الڤيروســـي، والســـل وغيرها..

وقد تقوم إحداهن بممارسة السحر والشعوذة وغير ذلك[١].

فترى الخادمة أطفالاً يحظون بكامل حقوقهم من تعليم ولعب.. ومن رعاية صحية.. واســـتقرار أُســـري ونفســـي.. إلى توفر المال والمأكولات.. والملابس والسيارات..

(١) سيدة البيت الجديدة.. الخادمة ما لها وما عليها (بتصرف).

أمور افتقدتْها في موطنها وبين أُسرتها..

فتبدأ بمقارنة نفسها مع الآخرين.. لتجد أنها هي الأقل حظّاً بينهم..

فتتراكم تلك المشاعر عند بعض الخادمات.. وربما تبدأ تلك المشاعر من ملاحظات ربة المنزل على جودة أدائها.. إلى سلسلة من تصرفاتٍ غير مقبولة من قِبَل الخادمة.. تحمل ربة الأُسرة على تنبيهها وتحذيرها.. ثم التهديد بإنهاء خدماتها..

وقد تكون النتيجة أن تُقدم الخادمة على ارتكاب جريمةٍ ردّاً لاعتبارها.. وتعويضاً عن كرامتها التي أهدرت من كثرة التوبيخ والتهديد..

وقد يكون المستقدَم من المستضعفين.. وقد أتى لكسب الرزق حقيقة.. ولكن حين يرى هذا الخادمُ بعض التصرفات من مخدوميه.. وتفريطهم في الحفاظ على أموالهم وأعراضهم.. فقد يغويه بالجريمة.. ويُطمعه في الغنيمة[1].

وقد كشفت دراسة قيمة نشرت في «المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب» الصادرة من جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في العدد (٥٣)، شهر رجب (١٤٣٢هـ) بعنوان: «جرائم الخادمات بالمجتمع السعودي، دراسة ميدانية على عينة من الأُسر بمدينة الرياض» للدكتورة غادة بنت عبد الرحمٰن الطريف.. كشفت الباحثة نوعية الجرائم التي قامت الخادمات بتنفيذها..

(١) خطر الخدم والسائقين، دار الوطن (بتصرف).

فقد كانت الجرائم ـ حسب ترتيبها ـ هي: الهروب من المنزل.. الاعتداء على الأطفال وإيذائهم.. إقامة علاقات غير مشروعة مع غرباء.. تسهيل دخول آخرين للمنزل.. إقامة علاقة غير مشروعة مع أحد أفراد المنزل.. السرقة.. استخدام السحر.. التقرب من الزوج أو الزواج به.. الاعتداء على ربة المنزل.. السب والشتم.. إقامة علاقات غير مشروعة مع أحد أفراد الأُسرة..

وكان من نتائج البحث أيضاً أن (٩٤٪) من الأُسر لم يبلِّغوا عن جرائم الخادمة[١].

* * *

(١) د. غادة بنت عبد الرحمٰن الطريف: جرائم الخادمات بالمجتمع السعودي (دراسة ميدانية على عينة من الأُسر بمدينة الرياض) (المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب) الصادرة من جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، في العدد (٥٣)، شهر رجب ١٤٣٢هـ.

٦ مخاطر على الزوج والأبناء

• الحشمة.. الحشمة!:

من المناظر المحزنة ما نراه من بعض النســاء المحتشــمات باللباس الشرعي الكامل.. وإلى جوارها في السوق أو في السيارة خادمة كاشفة متبرجة!..

فكم من خادمة نراها في الطريق وهي ترتدي اللباس الفاضح بشكلٍ يلفت النظر..

فعجباً لهن كيف يخرجن من البيوت وهن بهذا اللباس؟..

ألم يرها صاحب البيت؟!..

أليس هو من قام بإحضارها من بلدها؟!..

ألا يخشى على أبنائه منها؟!..

ثم أنتِ يَا صاحبة البيت ألا يوجد لديكِ غيرة؟!..

ألا ترين لباسها الفاضح؟!..

أليس لديكِ في البيت أبناء؟!..

ألست تخافين عليهم من الضياع والفساد؟!..

فكيف تقولين أخاف عليهم الفساد وأنتِ قد أحضرت لهم الفساد إلى البيت..

كلُّ الحوادثُ مَبْدَاها مِنَ النَّظَرِ ومعظمُ النَّار مِنْ مستصغَرِ الشَّرَر
كمْ نظرةٍ فتكتْ في قلبِ صاحِبها فتكَ السّهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ
يسرُّ ناظرَه ما ضرَّ خاطرَه لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضَّرَرِ

فلا بد من ستر الخادمة في المنزل وخارجه.. سواء كان الخروج مع الأسرة أم لوحدها.. واحذروا مما يفعل البعض من إسناد رمي القمامة إليها.. أو غسيل السيارة.. أو الذهاب للأماكن القريبة من جارة أو بقالة أو غيرها.

• الخلوة المحرمة:

خذوا حذركم فهناك خط يجب أن تسير عليه ربة المنزل في تعاملها مع هذه المرأة التي ربما تتركها لساعات مع أبنائها.. وهي جسم غريب عن المنزل لا تُعرَف عاداتها ولا أخلاقها.. ولا صلاحها وفسادها.. وهي كمن أتى بإنسانٍ غير معروفٍ ووضعه في قعر داره.. فربما كانت للصلاح أقرب أو للفساد أقرب؛ فلا بد من الحذر أخلاقيّاً ودينيّاً.

لا تتهاونوا باختلاط الخدم أو الخادمات بأهل البيت من الرجال والنساء.. أو فيما بينهم رجالاً ونساء اختلاطاً لاحدود له.. ترفع فيه الكلفة والحشمة.. لا تتهاونوا بالخلوة بالسائقين ونحوهم.. أو خلوة الخادمة بصاحب البيت.. أو بعض ولده.. وكل ذلك محرم لا يجوز التساهل فيه.. لما يجرُّ إليه من المفاسد.

ـ **لا يخلو الرجل بالمرأة الخادمة بل يغض بصره عنها..** فإنها أجنبيــة عنه.. أجيــرة لديه.. وهي أمانــة في عنقه.. وليســوا إماءً ولا ملك يمين!.. فالرسول ﷺ يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[١].

وعلى الرجل أن يعلّم أبناءه هذا الخلق إذا بلغوا سن التمييز..

ـ لا تخلو المرأة بخادمها ولا تتكشــف له.. فهو أجنبي عنها أجير لديها.. وحكمه في النظر والخلــوة حكم الأجنبي.. كما في الحديث السابق.

ـ لا تجعليها تتعامل مع الرجال في المنزل.. فلا تختلط معهم.. ولا يدخلون عليها في المطبخ أو غرفــة كوي الملابس.. وكذلك لا تدخل عليهم في غرفتهم.. أو تقدم لهم الخدمة في المجلس أو غرفة الطعام.

ـ إذا احتاجت للمرور أمامهم أو الخروج من المنزل فلا بد من الحجاب الشرعي..

ـ احذروا من أن تقدّم الخادمةُ الشايَ وغيره للرجل في البيت أو لضيوفه.

فبعض النــاس يهين الخادمة إهانة عظيمــة.. فتجده يمرح مع أصدقائه ثم يكسر حجاب حيائها وحشمتها.. بإدخالها على هؤلاء

---

(١) رواه البخاري.

الضيوف ذاهبة آيبة.. أو يأمرها بالذهاب إلى السوق أو البقالة.. لتحضر له شيئاً مما يريد.. وهذا ينافي تعاليم الإسلام وآدابه..

ـ انتشرت عند بعض الخادمات أخذ إجازة يومي الخميس والجمعة من كفلائهم.. فتسرح وتمرح مع من تدعي أنه قريبها أو أخوها.. فهي أمانة عندكِ فاحرصي عليها..

ـ تجنبي أمام الخادمة المزاح والضحك مع زوجك.. أو اللباس غير المحتشم.. فبعض النساء تلبس أمام الخادمة ما تلبسه في غرفتها الخاصة.. وكأن الخادمة جدار لا يشعر.. فتكون المسؤولة إن حصل ما لا يحمد عقباه فلا تعتقد أنها لا ترغب في اللبس أو الجلوس مع زوجها وأطفالها بسعادة غامرة كتلك التي تراها معكم..

* * *

٧ معاملة الخدم في الحضارة الإسلامية

أعزَّ الإسلامُ الخدمَ وكرَّمهم.. واعترف بحقوقهم لأوَّل مرَّة في التاريخ بعد أن كان العمل في بعض الشـرائع القديمة معناه الرقُّ والتبعية.. وفي البعض الآخر معناه المذلَّة والهوان.. قاصداً بذلك إقامة العدالة الاجتماعيَّة، وتوفير الحياة الكريمة لهم..

• مع الهدي النبوي:

وقد كانت سـيرة الرسـول ﷺ خيرَ شـاهد على عظمة نظرة الحضارة الإسلامية للخدم والعمال.. وكانت إقراراً منه بحقوقهم.

ـ فقد دعـا ﷺ أصحابَ الأعمـال إلى **معاملـة خدمهم معاملة إنسانيَّة كريمة**.. وإلى الشـفقة عليهم.. والبرِّ بهم.. وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، فقال: «**...إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**[(١)]**، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[(٢)].

(١) **خولكم**: خدمكم. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري: ١١٥/١.

(٢) رواه البخاري.

فجاء تصريح رسول الله ﷺ: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**» ليرتفع بدرجة العامل الخادم إلى درجة الأخ! وهذا ما لم يسبق إليه أبداً في حضارة من الحضارات[١]..

ـ وألزم الرسول ﷺ كذلك صاحب العمل أن **يُوَفِّيَ للعامل والخادم أجره المكافئ لجُهده** دون ظلم أو مماطلة.. فقال: «**أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**»[٢].

ـ **وحَذَّر من ظلم العمال**، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي عن ربِّ العزَّة: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**»[٣].

ليعلم كل مَنْ ظلم عاملاً أو خادماً أن الله خصمٌ له يوم القيامة.

ـ وأوصى صاحب العمل **بعدم إرهاق العامل** إرهاقاً يضرُّ بصحَّته.. فقال رسول الله ﷺ في ذلك: «**مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْراً فِي مَوَازِينِكَ**»[٤].

ـ ومن الحقوق التي تُعتبر علامة مضيئة في الشريعة الإسلاميَّة: **حقُّ الخادم في التواضع معه**.. وفي ذلك يُرَغِّب الرسول ﷺ أُمَّته قائلاً: «**مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارَ بِالأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا**»[٥].

---

(١) حقوق الخدم والعمال في الحضارة الإسلامية (بتصرف).

(٢) صحيح ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) صحيح ابن حبان (٤٣١٤).

(٥) صحيح الجامع (٥٥٢٧).

ـ ولأن حياته كانت تطبيقاً لكل أقواله.. فإن السيدة عائشة رضي الله عنها تروي فتقول: مَا ضَرَبَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ شَــيْئاً قَطُّ بِيَــدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً[١].

كما نجده يقول لأبي مسعود الأنصاري عندما ضرب غلاماً له فيقول: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْــعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**» قال: فَالْتَفَتُّ فإذا هو رسول الله، فقلتُ: يَا رسول الله، هو حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ. فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ**»، أَو «**لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»[٢].

فالضرب أو الصفع أو اللطم أو الركل هو إهانة للخادم يأباها الله ورسوله..

ـ ولقد ضرب رســولنا ﷺ المثل الأعلى في معاملة الخدم.. فهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ يشهد شهادة حقٍّ وصدق فيقول: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً، فَأَرْسَلَنِي يَوْماً لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ ـ وَفِي نَفْسِــي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ـ قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَابِضٌ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَــكُ، فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ، اذْهَبْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ**» قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُــولَ اللهِ. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ! لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟»[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

ـ وكان هديه ﷺ **العفو والتجاوز**.. جـاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يَا رسولَ اللهِ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ، ثم أعادَ عليه الكلامَ، فصَمَتَ، فلما كان في الثالثةِ قال: «**اعفوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةٍ**»[(١)].

ـ بل إن الرسول ﷺ كان يهتمُّ برعاية خَدَمِه إلى الدرجة التي **يحرص فيها على زواجهم**، فعن ربيعة بن كعب الأسـلمي، قال: كنتُ أخدم النبي ﷺ فقال لي: «**يَا رَبِيعَةُ، أَلَا تَتَزَوَّجُ؟**» قال: فقلتُ: لا والله يَا رسول الله، ما أريد أن أتزوَّج؛ ما عندي ما يُقيم المرأة، وما أحبُّ أن يشغلني عنك شيء. قال: فأعرض عنِّي، ثم قال لي بعد ذلك: «**يَا رَبِيعَةُ، أَلَا تَتَزَوَّجُ؟**» قال: فقلتُ: لا والله يَا رسول الله، ما أريد أن أتزوَّج، وما عندي ما يُقيم المرأة، وما أحبُّ أن يشغلني عنك شـيء. فأعرض عنِّي. قال: ثم راجعتُ نفسي، فقلتُ: والله يَا رسول الله أنت أعلم بما يُصلحني في الدنيا والآخرة. قال: وأنا أقول في نفسـي: لئن قال لي الثالثة لأقولن: نعم. قال: فقال لي الثالثة: «**يَا رَبِيعَةُ، أَلَا تَتَزَوَّجُ؟**» قال: فقلتُ: بلى يَا رسول الله، مُرْنِي بما شئتَ، أو بما أحببت. قال: «**انْطَلِقْ إِلَى آلِ فُلَانٍ**» إلى حيٍّ من الأنصار[(٢)].

ـ وتتجلَّى عظمة الحضارة الإسلامية في معاملة الخدم والعمال حين نرى امتداد رحمته ﷺ بخدمه **لتشمل غير المؤمنين** به أصلاً..

(١) صحيح أبي داود (٥١٦٤).

(٢) رواه أحمد (١٦٦٢٧)، والحاكم (٢٧١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وذلك كما فعل مع الغــلام اليهودي الذي كان يعمل عنده خادماً.. فقد مرض الغلام مرضاً شــديداً.. فظلَّ النبي ﷺ يزوره ويتعهَّده.. حتى إذا شارف على الموت عاده وجلس عند رأسه.. ثم دعاه إلى الإســلام.. فنظر الغلام إلــى أبيه متســائلاً.. فقال له أبــوه: أطِعْ أبا القاسم. فَأَسْــلَمَ، ثم فاضت رُوحه، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»[1].

• صورٌ من معاملة الصحابة للخدم:

ـ روي أن عليّــاً رضي الله عنه أعطى غلامه دراهم ليشــتري بها ثوبين متفاوتي القيمــة.. فلما أحضرهما **أعطاه أرقّهما نســيجاً وأغلاهما ثمناً**.. وأخذ الآخر لنفسه وقال له: «أنت أحق مني بأجودهما لأنك شاب تميل نفسك للتجمل.. أما أنا فيكفيني هذا».

ـ ودخل رجل على سلمان الفارســي.. فوجده يعجن فقال له: يَا أبا عبد الله، ما هذا؟ فقال: بعثْنا الخادمَ في شُغلٍ فكرهْنا أنْ نجمعَ عليه عمليْن..

ـ وقال أبو ذر رضي الله عنه: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُــلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا..

فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: «**أَسَابَبْتَ فُلَاناً؟**» قُلْتُ: نَعَمْ.. قَالَ: «**أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ..

---

(١) رواه البخاري.

قَالَ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»..

قُلْتُ عَلَى حِينِ سَـاعَتِي (أي: فور قوله وعقبـه): هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ (أي: هل في جاهلية أو جهل وأنا شيخ كبير؟).

قَالَ: «**نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْـهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ العَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**»[(١)].

ـ وكان لأبـي هريرة زنجيةٌ.. قد غمَّتهـمْ بعملها.. فرفع عليها السـوط يوماً فقال: لولا القصاص لأغشـيتك به.. ولكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك.. اذهبي فأنت لوجه الله[(٢)].

ـ وكَانَ الرَّبِيعُ بْـنُ خُثَيْمٍ يَقُولُ لِخَادِمِهِ: عَلَـيَّ نِصْفُ الْعَمَلِ.. وَعَلَيْكَ نِصْف.. وَعَلَيَّ كَنْسُ الْحُشِّ (أي: البُسْتان)[(٣)].

* * *

(١) رواه البخاري.
(٢) الزهد، للإمام أحمد، ص٢٦٠.
(٣) المرجع السابق، ص٤٥٩.

٨ ما هي حقوق الخدم؟

عادةً ما يطلب الناس من الخدم أداء حقوقهم.. لكن هل سأل أحدنا نفسَه: ما حق خادمه عليه... ذكراً كان أم أنثى؟!.

كيف نتعامل مع الخدم في ظل قول الرسول ﷺ: «**إن إخوانكم خَوَلُكم، جعلهمُ اللهُ تحتَ أيديكُم، فمنْ كان أخوهُ تحتَ يَدِهِ، فليُطْعِمْهُ مما يأكلُ، وليُلبِسْهُ مما يَلبَسُ، ولا تُكَلِّفوهم ما يَغْلِبُهُم، فإنْ كَلَّفْتُموهم ما يَغْلِبُهم فأعينوهم**»[(١)]؟.

كيف نضمن إنتاجية جيدة منهم.. وتعاملاً يرضي الله عنا؟..

كيف نعينهم على محبة ديننا العظيم من خلال تعاملنا معهم؟..

كيف نتعامل مع استغلال البعض منهم طيب المعاملة؟[(٢)]..

أسئلة حائرة وكثيرة..

إنَّ خير من يُقتدى به في هـذا الباب.. وفي غيره من مجالات

(١) رواه البخاري.

(٢) ٢٠ خطوة مهمة نحو خادمة رائعة (بتصرف).

الدنيا والدين.. هو صاحب الخلق العظيم.. محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]..

حقيقةُ الحبِّ للمختارِ سيرُ خطًى ... على هُداه كما قد أثبتَ الخبَرُ
حقيقةُ الحبِّ أن نحيا بِسُنَّتِه ... مستمسكين بأمرٍ منه نأتمرُ

ولنتذكر دوماً أنهم فئة من الناس قدمت إلى بلادنا.. وتكبدت عناء الغربة ومفارقة الأهل والزوج.. والأبناء والديار.. لأجل حفنة من المال!..

فكم ذاق البعض ولاقى من ذلٍّ وهوان من بعض مخدوميهم؟.. وهم صابرون صامتون مقابل هذا المال.. غرباء عن أوطانهم!.. ولا شك أن الحكومات الرشيدة تسعى لمعاقبة كل من يسبب الضرر لهؤلاء وغيرهم..

ووجود الخدم من تسخير الله بعض عباده لبعض.. فالله تعالى يقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]..

فاعلمي أن الخادمة نعمة من الله لك.. تخفف عنك أعباءً كثيرة.. فأدِّي حق الشكر لهذه النعمة.. ليستقيم حالك معها.. وتتجنبي كثيراً من المشكلات التي أنتِ في غنًى عنها..

ولا شك أن هناك بيوتاً ـ ولله الحمد ـ يُعامَل فيها الخدم معاملة حسنة.. ولكن قد يكون هناك مَنْ يظلم الخدم ولا يؤدي حقوقهم كاملة..

فللخدم في منازلنا حقوق؛ منها:

• **ارفقوا بهم وأحسنوا معاملتهم:**

فلا تُكلّفي الخادمة من الأعمال ما لا تطيق.. أو خارج مسؤولياتها اتفاقاً أو عرفاً.. فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يُكَلَّفُ من العملِ إلا ما يطيقُ**»[١].

وإن كانت هناك أعمال فوق طاقتهم.. فينبغي مساعدتهم امتثالاً لحديث الرسول ﷺ: «**لا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**»[٢].

وهناك أُسر لا تراعي ضعف الخادمة ومرضها.. ولا حاجتها إلى العلاج.. فيرون أنه يجب أن تعمل دون كلل أو ملل.. بل دون أن تمرض أو تسقم!.. يظن أن الخادمة لا بدَّ أن تعمل طوال اليوم.. وليس لها وقت للراحة.. وهذا ملاحظ في الأسر الكبيرة التي فيها تُؤمر الخادمة بعملٍ من كل فرد من أفراد العائلة.. فتكون المسكينة دائمة العمل لا تعرف الراحة!.

وبعض الناس يعتقد أن الخادمة ما جعلت خادمة إلا لأنها تستطيع كل شيء.. وتعمل في كل وقت.. فهذا خطأ.. فحتى الآلة الجامدة لا تعمل طوال الوقت.. فلا بد لها من راحة وإلا تعطلت...

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

فللخادمة طاقة محدودة وقدرات معينة.. فلماذا لا تعين ربةُ الأسرة هذه الخادمة على بعض أعمال المنزل وتخفيف بعض أعبائها؟!.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**للمملوكِ طعامُهُ وكُسْوَتُهُ بالمعروفِ، ولَا يُكَلَّفُ مِنَ العمَلِ إلَّا ما يُطيقُ**»(١).

فإذا كان **العبد المملوك** لا يكلّف إلا ما يطيق.. فالخادم الحرّ أوْلى.. فإن كان هناك من عمل لا بدّ منه.. فليحملْ عنه ما هو فوق طاقته.. أو يأتي بمن يساعده..

• اعفوا واصفحوا:

العفو والصفح ولاسيما عند خطأٍ غيرِ مُتعمَّد.. فمن منا لا يخطئ؟!.. ومن منا إذا أخطأ لا يحب أن يُغفَر له ويُعفَى عنه؟!... فكذلك الخدم.

وتذكري سُنَّة منسيّة.. نُحييها بالعفو عن الخادم.. فقد جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يَا رسولَ اللهِ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ، ثم أعادَ عليه الكلامَ، فصَمَتَ، فلما كان في الثالثةِ قال: «**اعفوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةٍ**»(٢).

وهذا العددُ (السبعون) للكثرةِ لا لبُلوغِ مُنتهَى العددِ.. وهو كنايةٌ عن العفوِ الدَّائمِ عن الخادمِ.. مع إرشادِهِ إلى الصَّوابِ وتأدِيبِه.. وهذا مِن رَحمتِه ورِفقِه ﷺ بأُمَّتِه.

---

(١) صحيح الجامع (٥١٩١).

(٢) صحيح أبي داود (٥١٦٤).

وفي الحديث توجيه للمسلم أن يعفو عن الخدم الذين يعملون لديه رفقاً بهم.. ومراعاة لظروفهم.. وحفظاً لودهم.. وقد قال تعالى في وصف أهل الإيمان: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]..

وفي توجيه الرسول ﷺ كفاية لمن أراد أن ينجو بنفسه من الإثم.. يقول عليه الصلاة والسلام في العبيد: «**إنْ أحسَنوا فاقبَلوا، وإنْ أساؤوا فاعفُوا، وإنْ غلَبوكُم فَبيعوا**»[(١)].

وكم من الجرائم ارتُكبت من الخدم بسبب ما يلاقونه من ظلم وقسوة ممن يعملون لديهم!..

• راعي ظروفها الصحية والنفسية:

وخاصة في الحالات التي تتذكّر فيها أبناءها وأهلها.. أو عند إصابتها بمرض أو غيره.

تذكري أن الخادمة امرأة مثلك.. والنساء يصيبهن ما يصيبهن من مرض أو تغير الحالة النفسية.. خاصة إن أصابها العارض الشهري الذي يأتي النساء فتتغير نفسيتها وتتعب.. فراعي ذلك وقيسي هذا على نفسك..

تغاضي عن هفواتها.. فلا تقع عينك على كل شيء وتجعلين منه أمراً عظيماً..

تكلمي معها بهدوء فالحوار أنجح الطرق في علاج الأمور.. بالتفاهم الهادئ لمواضع القصور منها.. وإرشادها إلى الصواب.

---

(١) صحيح الترغيب (٢٢٨٣).

• وفِّري لها السكن المناسب وما تحتاجه من الأمور المهمة:

جهزي لها مكاناً مناسـبا لها صحيّاً وأمنيّاً، ومهيأ بدورة مياه مستقلة.. سكناً يقيها الحر والبرد والمطر.. كي تهنأ بعيشها ويكون عوناً لها على العمل والإنتاج.

تفقدي غرفتها فربما تعاني من خرير المطر مثلاً.. أو باردة شتاءً فتوفري لها البطانيات.. أو حارةً صيفاً فتتأكدي من عمل المكيفات..

• أعطوا الأجير أجره:

أعطوه ما يناسب عمله من الأجر.. ولا يجوز أن تُستغل حاجتُه وفقره.. وانخفاض دخل الفرد في بلده.. كما يحدث الآن في بعض البلاد.

أدّوا حق الخادم من الراتب المتفـق عليه، **وإياكم والتأخر في ذلك**؛ فإنها ما أتت هنا إلا من شـدة الحاجة.. وقد نبه الرسول ﷺ لذلك فقال: «**أعطوا الأجيرَ أجرَهُ قبلَ أن يجفَّ عرقُهُ**»[1].

وبعض الناس يتفنـن في المماطلة في راتـب الخادمة بقوله: «لكي لا تهرب».. أو «لكـي تكون محتاجة لنا»!.. فسـبحان الله العظيم من هذا الظلم المشين!.

فلا يجوز بخس الخادم من راتبه.. ولا تأخيره عنه.. فإن ذلك حق له.. وأمانة لدى مخدومه.. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن

(١) صحيح ابن ماجه (١٩٩٥).

﴿تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]..

فهضم حقه معصية لرب السماوات والأرض.. وليحذر الإنسان أن يكون خصمَه يوم القيامة ربُّ العالمين إن لم يوف الأجير أجره.. فالرسول ﷺ يقول: «**قال اللهُ: ثلاثةٌ أنا خصمهم يومَ القيامةِ: رجلٌ أعطى بي ثم غدرَ، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنَه، ورجلٌ استأجرَ أجيراً فاستوفى منهُ ولم يُعْطِه أجرَه**»[(١)].

• تصدَّقي على الخادمة:

فإنها مسكينة ما أتت هنا إلا لجمع دريهمات قليلة.. ولديها أسرة كبيرة هناك محتاجة إلى طعام وكساء.. وبناء منزل وغيره.. كما أن في هذه الصدقة تعويضاً عن زيادة العمل.. وعدم معاملة بعض أهل الدار لها بالحسنى..

والإنفاق على الخادمة صدقةٌ لها أجرها عند الله تعالى.. وقد حث النبي ﷺ على الإنفاق على الخادم لأنه قريب.. ويُرجى أن تكون هذه الصدقة ذات أثر طيب في نفسه تجاه مخدومه.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أمر النبي ﷺ بصدقة، تصدَّقوا، فقال رجلٌ: يَا رسولَ اللهِ! عندي دينارٌ. قال: «**أَنفِقْهُ على نفسِكَ**» قال: إنَّ عندي آخر. قال: «**أَنفِقْهُ على زَوجتِكَ**» قال: إنَّ عندي آخر.

(١) رواه البخاري.

قال: «**أَنفِقْهُ على ولدِكَ**» قال: إنَّ عندي آخـــر. قال: «**أَنفِقْهُ على خادِمِكَ**» قال: إنَّ عندي آخر. قال: «**أنتَ أبصرُ بهِ**»[١].

- **تابعي الخادمة في دينها:**

فهي أمانة في أعناقنا يجب المحافظة عليها في سلامة دينها من الشرك والبدع.. ومن الانحرافات والفساد الأخلاقي..

ـ **راعيها في أوقات العبادة**.. فقد تكـــون فيها مرهقةً بالصيام.. واتركي لها وقتاً كافياً عند أداء الصلاة فلا تستعجليها.

ـ وإذا كانت الخادمة غير مسلمة فدعْوتها إلى الإسلام فيه خير عظيم.. كما قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**فـــوالله لأنْ يهدِيَ اللهُ رجلاً بك، خيرٌ لك مِن أنْ يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ**»[٢].

ـ أحسني معاملتها.. فإن كانت مسلمة كان حُسن صنيعك معها من باب التآخي بين المســـلمين.. ومن باب الرفق والشفقة.. وإن كانت غير مسلمة فربما كان ذلك سبباً لدخولها الإسلام...

ـ اعملي على زيادة وعيها بتعاليم الدين الإســـلامي.. فلربما تكون حديثة العهد بالإسلام.. أو ممن لها عهد طويل في الإسلام ولكنها تحتاج إلى وعي وإرشاد..

ولكن ينبغي مراعاة نفسية المخاطَب في عرض الدعوة..

---

(١) صحيح الترغيب (١٩٥٨).

(٢) رواه البخاري.

• **أدخلي السرور على نفسها:**

وذلك بسؤالها عن أبنائها.. ودفع هدية لصغارها.. وإرسال الكتب النافعة لهم..

اجعلي لها وقتاً لتسمعي لها وتحاوريها.. واسأليها عن أهلها وأقاربها..

اشتري لها كرت هاتف كل شهرين مثلاً لتحادث أهلها.. فهذا يعني الكثير لها.. فتشعر أنك تحسين بمعاناتها.. وتطمئن على أهلها.. فترتاح نفسيّاً وتبذل الكثير لك.

قدّمي لها الهدايا من حين لآخر.. وخاصة في المناسبات كالأعياد..

أحضري لها حاجياتها الخاصة أولاً بأول.. ولا تتأخري عليها تماماً كما تحبين أن لا تتأخر عليك في شيء..

• **إياك وسبّها أو ضربها أو إهانتها:**

فالرسول ﷺ يقول: «**من لطم مملوكَه أو ضربه فكفارتُه أن يعتقَه**»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي، فسمعتُ صوتاً من خلفي: «**اعلم أبا مسعود**» مرتين، «**الله أقدر عليك منك عليه**»، فالتفتُّ فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: هو حر لوجه الله، قال: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار**»[٢].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

ويقول ﷺ: «**أجيبوا الدَّاعيَ، ولا تــردُّوا الهديَّةَ، ولا تَضرِبوا المُسلمينَ**»[١].

وهذا رســول الله ﷺ لا يمد يده على أحد إلا في جهاد.. كما قالت أم المؤمنين عائشــة رضي الله عنها: ما ضرب رســولُ اللهِ ﷺ شيئاً قطُّ بيدِه، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يجاهدَ في سبيلِ اللهِ[٢].

وقد كان يوصي بذلك.. فعن أبي أمامة: أن النبي ﷺ أقبل معه غلامانِ، فوهب أحدَهما لعلــيٍّ، وقال: «**لا تضرِبْه؛ فإني نُهيتُ عن ضربِ أهلِ الصلاةِ، وإني رأيتُه يصلِّي منــذ أقبلْنا**» وأعطى أبا ذرٍّ غلاماً وقال: «**اســتوصِ به معروفاً**» فأعتقَه، فقال: «**ما فعل؟**» قال: أمرتَني أن أستوصي به خيراً، فأعتقتُه[٣].

وقال ﷺ: «**يَا عائشــةُ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العنفِ، وما لا يُعطِي على ما سواه**»[٤].

ومن أشــد المنكرات أن يتعمد البعض ضــرب الخادم على الوجه.. وفي ذلك ما فيه من الإهانة.. رَأَى رَسُــولُ اللهِ ﷺ حِمَاراً مَوْسُــوماً فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، لا يَسِــمَنَّ أحدٌ الوجْهَ ولا يضرِبَنَّهُ**»[٥].

(١) صحيح الجامع (١٥٨).
(٢) رواه مسلم.
(٣) صحيح الأدب المفرد (١٢١).
(٤) رواه مسلم.
(٥) صحيح الأدب المفرد (١٣١).

• أطعميها من طعامك وشرابك:

فرسول الله ﷺ يقول: «**إذا أتى أحدَكُم خادمُهُ بطعامِهِ، فإن لم يُجلِسْهُ معَهُ، فليُناولْهُ لُقمةً أو لُقمتينِ، أو أُكْلةً أو أُكْلتينِ، فإنَّهُ وليَ علاجَهُ**»[(١)].

فبعض الأُســر تحرم الخادمات من أكل ما يأكلون.. فلا تُعْطى إلا الساقط أو الباقي.. وتحرمها من أن تطبخ أكلةَ بلدها التي تحبها من حين لآخر!..

وآخرون يأمرون الخدم بطبخ طعام آخر غير طعام أهل البيت لهم (خالٍ من اللحوم والأسماك مثلاً).. فاحذروا أن تكونوا منهم.. لأن أنفسهم تشتهي مثلما تشتهون..

وكون الخادم أقل منزلة اجتماعية من مخدومه لا يستوجب أن يكون طعامه أقل مســتوى منه.. بل إن هذه منازل قدّرها الله تعالى على العباد في هذه الحياة الدنيا؛ فالرســول ﷺ يقول: «**فمنْ كان أخوهُ تحتَ يَدِهِ، فليُطْعِمْهُ مما يأكلُ، وليُلبِسْهُ مما يَلبَسُ...**»[(٢)].

فإذا كان الخادم يطبخ لأهل البيت فعليهم أن يسمحوا له أن يأكل من طبخه.. فإنه قد شم رائحة هذا الأكل ورآه فتاقت نفسه إليه..

ثم إن إطعام الخادم صدقة.. كإطعام النفس والزوجة والولد.. فالرســول عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما أطعمْــتَ زوجتَكَ فهو لَــكَ صدَقَةٌ، وما**

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.

أطعَمْتَ ولدَكَ فهو لَكَ صدَقَةٌ، وما أطعَمْتَ خادِمَكَ فهو لَكَ صدقةٌ، وما أطعمتَ نفْسَكَ فهو لكَ صدَقَةٌ»[١].

وألبسه مما يلبس.. ولا تنسوه من كسوة الصيف والشتاء، وكسوة العيد أيضاً.

• صوني خادمتك من السرقة:

فقد كان من هدي السلف أن يعينوا الخدم على أنفسهم فلا يتركون أموالهم هَمَلاً.. فقد يشجع ذلك الخادمَ على السرقة وخيانة الأمانة.

فإذا حفظَ أهلُ البيت أموالَهم وحليَّهم عن أن تصل إلى أيدي الخدم فإن ذلك في صالــح الخدم من ناحيتيــن: الأولى: أنهم يُصانون من ذنب السرقة.. والثانية: أنه إذا فُقد شيء منها لا يُظَنُّ بهم سوءاً.

فعن أبي العالية (وهو تابعــي) قال: كُنَّا نُؤْمَــرُ أَنْ نَخْتِمَ عَلَى الْخَادِمِ، وَنَكِيلَ، وَنَعُدَّهَا، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَعَوَّدُوا خُلُقَ سُوءٍ ـ وهذا لهم هم ـ أَوْ يَظُنَّ أَحَدُنَا ظَنَّ سُوءٍ[٢].

قال الجيلاني: «لأن قلوبنا بالختم والكيل والعدّ تطمئن بالحفظ.. وينحسم طمع العبيد والخدم فلا يجترئون على السرقة والخيانة.. فهم يصانون عن ذنب.. ونحن نُصان عن سوء الظن بهم»..

---

(١) صحيح الجامع (٥٥٣٥).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢٤) وصحح إسناده الألباني.

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يعدّ قطعات اللحم لما كان خادمه يجيء من السوق.. فلما جلس للطعام كان يأمر خادمه بالجلوس معه.. فسئل مرة: إنك تعدّ قطعات اللحم إذا جاء بها الخادم ثم لا تدعْه حتى يأكل معك! فقال: ذلك أنقى للصدر، فلا يذهب الوهم إلى أنه أخذ منه شيئاً[١].

وعن سلمانَ قالَ: إنِّي لأعدُّ العراقَ على خادمي مخافةَ الظَّنِّ. وفي رواية: خشيةَ الظَّنِّ ... أي: مخافة أن أسيء الظن به. **والعِراق**: هو العظم الذي أُكل لحمُه[٢].

• ادعوا للخدم ولا تدعوا عليهم:

فقد نهانا رسولنا الكريم عن الدعاء على أنفسنا.. أو ما رزقنا الله من الولد والخادم والمال.. فقال: «**لا تَدعوا علَى أنفسِكُم، ولا تَدعوا علَى أولادِكُم، ولا تَدعوا علَى خدَمِكم، ولا تَدعوا علَى أموالِكُم؛ لا تُوافقوا منَ اللهِ تبارَك وتعالى ساعةَ نَيلٍ فيها عَطاءٌ فيَستجيبَ لَكُم**»[٣].

وهذا رسول الله ﷺ يدعو لخادمه أنس رضي الله عنه، يقول أنس: فما ترَكَ خيرَ آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لي به، قال: **اللهم ارزُقْه مالاً، وولداً، وبارِكْ له. فإني لمِن أكثرِ الأنصارِ مالاً**»[٤].

---

(١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد: ٣٩٣/١.
(٢) صحيح الأدب المفرد (١٢٥).
(٣) صحيح أبي داود (١٥٣٢).
(٤) رواه البخاري.

وقد سُقي مرة فدعا لمن سقاه، فقال: «**اللهمَّ أطعِمْ مَن أطعَمني، وأسْقِ من سقاني**»[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه الدعاء للمحسن والخادم»..

فمن منا بلغ في حسن معاملته لخادمه أن يدعو له إذا أتاه بطعامه وشرابه؟!.

• تذكر أن الجزاء من جنس العمل:

فرسول الله ﷺ يقول: «**لا يرحمُ اللهُ من لا يرحمُ الناسَ**»[٢].

فإذا عدلتَ وأقسطتَ كان لك جزاء عظيم عند الله تعالى.. فهذا وعد الصادق المصدوق: «**إن المقسطينَ، عند اللهِ، على منابرَ من نورٍ، عن يمينِ الرحمنِ عَزَّوَجَلَّ، وكلتَا يديهِ يمينٌ؛ الذين يعدلونَ في حُكمهِم وأهليهِم وما وُلّوا**»[٣].

وتذكر دعاء النبي ﷺ: «**اللهم! من وليَ من أمرِ أُمتي شيئاً فشقَّ عليهم، فاشقق عليهِ. ومن وليَ من أمرِ أُمتي شيئاً فرفقَ بهم، فارفقْ بهِ**»[٤].

* * *

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

٩ طرق إبداعية للتعامل مع الخادمة..

الخادمة.. قدمتْ من بلاد بعيدة.. تاركة زوجها وفلذات أكبادها.. كي تخدمك أنت وأهلك.. تنظف وتغسل.. وتطبخ وتتعب..

يلوح في ذاكرتها أولادها.. فتنحدر دموعُها شوقاً لهم..

تُمضي قرابة السنتين بعيدة عن أهلها.. لأجل دراهم معدودة.. تأخذها نهاية كل شـــهر.. فتدفعها لأولادها هناك.. ليفرحوا مقابل حزنها.. ويسعدوا مقابل ألمها..

يَصِحّوا مقابل مرضها.. ويضحكوا مقابل دموعها..

فاحمدي الله إذْ لم تكوني مثلها.. وكونـــي بها رحيمة وعليها مشفقة..[١].

• **عند مجيء الخادمة** سلي الله من خيرها وخير ما جُبلت عليه.. واستعيذي بالله من شـــرها وشـــر ما جُبلت عليه.. واسألي الله أن يوفقك في التعامل معها..

(١) د. عادل العبد الجبار: اللؤلؤة المكنونة.

• **في أول يوم لحضورها**.. أحسني استقبالها لتطمئن.. فارقت أهلها وعشيرتها لشدة الحاجة والعوز.. فكوني لها برّ الأمان.. أعدّي لها طعاماً مناسباً ولباساً ملائماً.. واسمحي لها بالاستحمام.. وأخذ قسط وافر من الراحة.. فقد أتتك من بلادٍ بعيدةٍ بعد رحلةٍ مضنيةٍ وساعات طويلة.. قضتها في التنقل والترحال مع الخوف والوجل مما ستؤول إليه.. أطعميها من طعامكم.. فهي خاوية البطن مرهقة من السفر..

• لكِ أن تتخيلي حالها.. امرأة ضعيفة مسكينة.. لا تعرف لغتك.. ولا تعلم أين تذهب.. ومع من تسكن.. ولا أين تسكن.. أمور وأهوال تواجهها وهي تغادر منزلها الصغير.. وتترك أطفالها ووالديها وبلدها..

• **ساعديها على الاطمئنان** على أهلها وذويها.. عامليها كإحدى بناتك.. واهتمي بها صحيّاً وغذائيّاً وثقافيّاً..

• **رتبي منام الخادمة** بحيث يكون آمناً وبعيداً عن الشكوك والملابسات.. بعيداً عن الشارع العام وغرف الأولاد الذكور..

• تأكدي من كونها تنال كفايتها من النوم والراحة والطعام.. فهذا حق من حقوقها التي لا مجال لاستغلاله مهما كانت الظروف..

• **إياك والتنغيص** عليها وقت نومها.. أو إلزامها بالعمل وهي مريضة.. أو التنغيص عليها وقت تناولها الطعام.. فمثل هذه التصرفات تنافي المروءة وتوغر الصدور..

• **عندما لا تقوم الخادمة بعملها** على الوجه المطلوب.. لا تضيّعي الوقت بالجدال معها.. لأنك بذلك تجعلين المشكلة مشكلتين.. كل ما عليك فعله هو زيادة التوضيح لما تريدينه منها بالضبط[١].

اشرحي لها الطريقة التي تريدين أن تتّبعها في الكوي والغسيل أو التنظيف والترتيب.. فهذا ما سيجنّبك الغضب وسوء الفهم..

• **تذكري عندما لا يعجبك عملَها**.. أنَّ طلبَ إعادة العمل بطريقةٍ طيبة.. خيرٌ من الظلم والتهكم على الآخرين.. كما أنه سيعطيك نتائج أفضل..

• إياك أن تتخيلي أن الخادمة يجب أن تكون في كل الأوقات حسنة المزاج.. فإنما هي بشرٌ يعتريها ما يعتريك من ضيق وكدر.. فعليك أن تراعي ذلك وأن تغضّي الطرف عن الأمور التي لا تحتاج للدقة الزائدة..

• إذا ما اضطررتيها لبذل جهدٍ مضاعفٍ من أجل وليمة أو مناسبة.. فلا أقل من أن تكافئيها..

• **أثني عليها** في الأمور التي تُحسنها.. وركّزي على إيجابياتها.. فهذا يُبعدك عن التوتر.. ويمنحها الثقة لتؤدي الأعمال بكفاءة وإتقان..

---

(١) ٢٠ خطوة مهمة نحو خادمة رائعة» (بتصرف).

• **إياك وذمّها** أمام الناس.. والتحدث عـــن عيوبها للآخرين.. فتلك غيبة لا تجوز..

• **إن أخطأتِ بحقها فســـارعي للاعتذار** لهـــا.. وتعويضها بما يرضيها.. قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه اعتذار..

• **تذكّري أنها بشرٌ** مثلك تخطئ وتصيب.. فلا تكوني مغاليةً في طلباتك..

• مهما بـــدا منها من تقصيـــر... فلا يمنعنّك ذلـــك من القيام بواجبك نحوها.. ولا تعاقبيها بالتقصير في المأكل والمشرب..

• **عندما تتحول الخادمة إلى شـــيءٍ لا يُطاق**.. فقد تكون هذه نتيجة تصرفاتك أنت.. أو تفاقم الحمْل عليها..

وإذا كنتِ متأكدةً من حسن تعامل الأُسرة معها.. ووجدتِ أنه لا مفرّ من ترحيلها إلى ديارهـــا.. فإياك وظلمها أو التعدّي عليها.. أو سلبها حقوقها والانتقام منها.. وإنما سرِّحيها بإحسان..

• بعض الأُسر تعتمد على الخادمة في أعمال المنزل مع وجود بنات في سن الاستعداد للزواج.. فتنشـــأ هذه الفتاة دون أن تتعلّم شؤونها المنزلية التي ستأتي بعد حين في منزل زوجها.. فلا تعرف أي شيء من شؤون المطبخ ولا تحسن الطهي.. ولا غير ذلك..

• **عوّدوا أطفالكم على المشاركة** في أعمال المنزل مع الخادمة أو من دونها.. ففي ذلك تفريغ لطاقتهم.. وتعويدهم على العمل في سن مبكرة.. وجعلهم يشعرون أنهم قدّموا لأُسرتهم ومنزلهم شيئاً طيباً..

• **أبعدي أبناءك عن الاتكالية..** وعوّديهم على قضاء حوائجهم بأنفسهم.. فالخادمة لها طاقة محددة.. وليست آلة يستهلكها الجميع!..

• **علّمي أبناءك وجميع أفراد الأُسرة آداب التعامل معها..** وأكّدي على ضرورة احترامها وعدم نهرها.. أو التعدي على حاجياتها الخاصة..

• **تأكدي أنك وفّرتِ لها** كل مستلزمات النظافة.. وخاصة قفازات اليد الطبية سهلة الاستخدام.. حفاظاً على يديها من التقرحات والتشققات..

• ساعديها بشراء الحاجات الأساسية والكمالية؛ مثل: الأدوية.. والشامبو والكريم.. ولا تدعيها تشتريها من مالها.. فلن تتأثر ميزانيتك بذلك.. اعتبريها صدقة.

• **إياك والظن...** كوني فطنة لا شكّاكة.. ولا تتهميها بشيءٍ هي منه براء.. واعلمي أنَّما تُنصَر الأمةُ بضعفائها.. وأنَّ دعوة المظلوم لا تُرَدّ..

• **حذار من فتح الرسائل والتجسس عليها** إلا إذا ظهرت مصلحة بيّنة..

• بعض النساء.. إذا رأت من الخادمة معصية أو منكراً.. أخفتْ ذلك عن زوجها.. خوفًا من أن يرسل الخادمة إلى بلادها.. ويرفض استقدام أخرى!.

• **عوّدي نفســك وبناتك على إلقاء التحية عليها كل صباح..** وعند العودة للمنزل.. ومصافحتها فهي مسلمةٌ مثلك..

• **امتدحيها** أمام ضيوفك.. فهذا من إدخال السرور على المسلمين..

• **تذكري أنه لا شيء يجعل المرء يعمل بكفاءة مثل الحب..** فاحرصي على أن تكسبي قلبها... وتذكّري أنكِ داعية إلى الله[١].

• **كثيرٌ من النساء لا تراعي مشاعر الخادمة..** فتراها تباهي بما لديها من ذهب وحلي أمام تلك المسكينة الضعيفة.. وهذا الأمر فيه مدخل من مداخل الشــيطان مــن الكبر والمباهاة.. وربما حســد الخادمة لسيدتها[٢].

• **احرصي على تزويدها بالكتب** المترجمة والتي تعينها أكثر على فهم شــعائر الدين.. انتهزي الفرصة لتعليمها اللغة العربية.. والقراءة والكتابة.. وخاصة قراءة القــرآن.. وتخيلي لو أنك فزتِ بتعليمها قصار السور فأي ربح تجنينه؟!.. وأي حسنات تحصّلين.. إذا ما ذهبت لأهلها وعلَّمَتْهم ما تعلّمتْ منكِ..

• **احرصي على رعاية هذه الأمانة** ـ الخادمة ـ ولا تدعيها تغادر هذه البلاد وهي تعرف الأكلات الشرقية فقط.. بل اجعليها تعرف العقيدة الصحيحة وأحكام دينها.. حتى تكون داعية لأهلها فتفوزي بالأجر والثواب.

---

(١) ٢٠ خطوة مهمة نحو خادمة رائعة (بتصرف).

(٢) في بيتنا خادمة.

• **أشعريها بأهمية رابطة الإسلام**.. وأنها أخت لنا في الله.. وإذا لم تكن مسلمة فيقال لها: نحن نعاملك هكذا لأن الإسلام أمرنا بذلك.

• بعض النساء تتخذ من خادمتها وسيلة لاستكشاف **أسرار البيوت الأخرى** ومعرفة ما لديهم.. فترى البعض من النساء تترك لخادمتها أن تروي ما سمعته أو شاهدته في البيوت أو من خادمات تلك البيوت.. بل إن بعضهن تُوكل إلى خادمتها سؤال خادمة أقاربها عن أمور معينة.. وهذا لا يجوز فإنه من التجسس والاستماع إلى ما يكرهون.

• **من النساء من يغتبن الخادمات**.. فهذه قصيرة، وتلك طويلة.. وأخرى غير نظيفة.. وهكذا.. وربما احتقرتها وسبتها!..

• **ساعديها على برّ والديها** وحسن الصلة مع أهلها.. ويمكنكِ إهداءها أشياء يمكنها أن تهديها لأهلها أو أبنائها.. كسجادة صلاة أو بوصلة القبلة وغيرها.. فلذلك بالغ الأثر عليها وعلى أهلها.. وكم ستفرح لو طلبتِ منها تبليغهم تحيات عائلتك..

• **اسمحي لها بالترفيه المباح**.. خاصة وقت الرحلات والنزهات.. وتذكري أنها أمانة فلا إفراط في ذلك ولا تفريط.

• **عند سفركم للعمرة**.. أعطيها كفايتها من الوقت للتمتع بالعبادة داخل الحرم والمكوث فيه.. وإياك أن تحوّلي الرحلة إلى زيادة أعباءٍ عليها.. فهي مسلمة مثلك.. تحمل من الشوق لعبادة الرحمن في هذه الأماكن المقدسة.. ما الله به عليم.

• **اصحبيها معك إلى الندوات العامة والمحاضرات**.. ولا تتردي في دلالتها على الخير بكل ودٍّ.. وتعليمها ما يهمها من أمور دينها.. ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة..

• **عند الخروج من البيت** حاولي اصطحابها معك.. وإذا تعذّر فيمكن أن تبقى الخادمة عند جارة أو قريبة حكيمة واعية.. ولا تتركيها في البيت بمفردها..

• **لا ينبغي الاعتماد عليها في جميع الأمور**.. لكي لا تحلّ محل ربة المنزل وتقوم بجميع أدوارها.. فهناك أمور يجب عدم تدخل الخادمة فيها كالعناية التامة بالأطفال.. وجلوس الطفل معها كل الوقت.. وكذلك قيامها بجميع أمور المطبخ من إعداد وتجهيز وتقديم.. بل ينبغي أن يكون الطهي بإشراف سيدة البيت.. وبمساعدة الخادمة إذا استدعى الأمر.. وعدم ترتيب غرف النوم الخاصة.. وغير ذلك من الأمور التي لها علاقة بخصوصية البيت ومن مسؤوليات ربة المنزل.

* * *

١٠ ارحموهنّ

• كثيرٌ من الخادمات منْ تقوم بأعمال لا حصر لها في المنزل.. كتنظيف المنزل وغسل الملابس.. وتحضير الطعام وطهيه.. وغسل الأواني وغيرها..

قائمة طويلة منذ أن تصبح حتى تمسي.. بل إنها أول أهل البيت استيقاظاً وآخرهم نوماً.. وهي مع ذلك الجهد غير مرضي عنها وعن عملها!..

• ويعمد البعض إلى تأخير راتب الخادمة.. حتى تكون تحت يدهم وطوع أمرهم.. وفي ذلك ظلم لها ولأهل بيتها.. وربما يترتب على ذلك ضرر على صغارها أو زوجها.. والرسول ﷺ يقول: «**أعطِ الأجيرَ أجره قبل أن يجفَّ عرقه**».

• عند سفر الخادمة يقوم البعض بتأخير راتب شهر أو أكثر لضمان عودتها.. وفي هذا ظلم لا يجوز.. فتعطى حقها.. وإن لم تعدْ فتكون قد أخذت جميع حقوقها في الدنيا قبل أن تأخذها يوم القيامة حسنات!.. فالعقد شريعة المتعاقدين إلا عقداً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً..

ومن الناس من لا يهتم بهذا الأمر.. ويعتبر الأمر صوريّاً.. وهو بعد هذا التوقيع مسـؤول أمام الله ﷻ.. عن كل حق فيه للخادمة لا يخالف الشرع.. ومن ذلك عدم إعطائها مثلاً راتب الإجازة الذي يوجد في عقد الكثير من الخدم!..

تروي إحداهن ما شـهدته بنفسـها في إحدى الـدول: قاموا بإجبارها على الركوب في باص الجوازات للترحيل..

وهي متمسكة بباب الباص وتصرخ: لن أدخل.. لن أرحل..

أريد مالي.. لن أعود من دون حقي..

تقول: كم آلمتني كلماتها تلك!.. وما زلت أتخيّل منظرها..

وقد غادرت إلى بلادها بُخفيّ حُنين..

فمنهن من تدعو على كفيلها الذي بخسها حقها..

أما يخشى هؤلاء أن تكون مجابة الدعوة؟!..

فيمحق الله من ماله البركة.. وتصيبـه دعواتها.. فيمكث طيلة عمره بحسرة تلك الدعوات..

وخادمة أخرى مكثت عند كفيلها تسع سنوات.. أفنت شبابها هنا.. ثم بخسها الكفيل الظالم حقها..

مكثت ثمانية أشهر تنتظر أن يجود عليها ويعطيها مالها المستحق..

أما يخشـى أن تدعو عليه في جنح الظلام.. فيخسف الله دنياه وآخرته؟!..

أما يخشى الكفلاء أن يكون من هؤلاء من هو مجاب الدعوة؟!..

وفي الحديث: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرَيْنِ مُصَفَّحٍ عَن أبوابِ النَّاسِ، لَو أقسَم علَى اللهِ لأبرَّهُ**»[١].

ألا فليتقِ اللهَ هؤلاء.. ويعلموا أنهم موقوفون للحساب بين يدي الله..

• قالت إحداهن لأخرى: «إني أعطي العاملات وقتاً للراحة»..

فردّت عليها وبكل قسوة: «لا.. لا تعطيها وقتاً للراحة.. فهي ما جاءت هنا إلا لتعمل»..

ألهذا الحدِّ نُزعت الرحمةُ من القلوب؟!..

صحيح أنها ما جاءت إلا لتعمل.. ولكنها تعمل في مكانين.. أي بمعدل (١٦) ساعة يوميّاً.. وفي المواسم تزيد الساعات!..

ألا أرحمُها.. وهي بشرٌ مثلي مثلها؟!..

أتعبُ من العمل.. وأعود للمنزل فأرتاح..

وهي إما أن تذهب لمقر العمل الثاني.. وتبدأ رحلة الثماني ساعات من جديد..

أو تعود للسكن فتبقى بين أربعة جدران.. تبكي الغربة وفراق الأبناء..

---

(١) صحيح الترغيب (٣٢١٢).

• ألا رحمة بمن تحت أيديكم..

ارحموهم قبل أن تندموا ولات حين مندم..

وأدوا حقوقهم قبل أن تؤدوا الحقوق من حسناتكم.. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

ومن أذل مسلماً في الدنيا.. فلن يسلم من ذل النار يوم القيامة..

وأسوأ من ذلك التحرش الجنسي.. والاعتداء من قبل البعض أو من الأبناء على بعض الخادمات.. ولعل الصحف تنبئكم من الأخبار ما فيه مزدجر!..

* * *

١١ لا تهينوهن

من الصور المؤلمة التي يُســمع بها من حين لآخر.. أن رجلاً يلقب خادمته بالحيوانة.. وآخر يبصق في وجهها..

وامرأة تضرب خادمتها بيديها وتركلها بقدميها..

وسيدة تمتنع عن شــراء كتيب لعاملتها وتقول: وهل من وقت عندها حتى تقرأ؟!..

وعاملة تطلب من ربتها الذهاب إلى مكتب توعية الجاليات.. ولو مرة في الأسبوع لتزداد وعياً بدينها.. وربة البيت ترفض[١].

فالخادمات بشرٌ كبقية خلق الله.. فيهن الصالحات مثلما يوجد بينهن الطالحات.. تقول إحدى الخادمات: إن أطفال المنزل الذي أعمل به يحتقرونني ويشــمئزون من رائحتي.. ويُشــعرونني بعدم إنسانيتي.. وأنا أقوم بخدمتهم وأوفّر لهم كل ما يحتاجونه..

وتقول أخرى: أعمل لدى أُسرة أطفالها يضربونني.. تقسو عليّ والدتهم قسوة شديدة.. وتبخل عليّ بالملابس.. ففي الصيف ألبس

(١) الخادمة أمانة فلا تضيّعيها، دار الوطن للنشر.

ملابس ثقيلة.. وحين تعطيني قريبتها ملابـــس خفيفة.. تلقيها ربّة البيت في القمامة!..

وثالثة تتحدث أن ربّة البيت لا تدعهـــا تجلس بلا عمل مهما كان الأمر.. حتى تأتي ساعة النوم.. فتســـقط على الفراش منهكة متهالكة.. لتنهض في صبيحة اليوم التالي للنظام نفسه.

بعثت إحداهن تســـأل: زوجي محافظ على الصلوات الخمس وملتزم.. ولكنه يســـيء معاملة الخادمة.. ويتعمد إيذاءها بالشـــتم والإهانة.. ويتلفظ بألفاظ أخجل عند سماعي لها.. علماً أنها مسلمة مطيعة وخلوقة...[١].

وعن معاوية بن سويد قال: «لطمتُ مولًى لنا فهربتُ. ثم جئتُ قُبيلَ الظهرِ فصليتُ خلف أبي. فدعاه ودعاني. ثم قال: امتثِلْ منه. فعفا. ثم قال: كنا ـ بني مُقرِّنٍ ـ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ليس لنا إلا خادمةٌ واحدةٌ، فلطمَها أحدُنا. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**أَعتِقوها**» قالوا: ليس لهم خادمٌ غيرُها. قال: «**فلْيستخدِموها؛ فإذا استغنوا عنها فلْيخلُّوا سبيلَها**»[٢].

أجل لو بقي إثم هـــذه اللطمة الظالمة ليوم الحســـاب لكانت اللطمات هنا أشد وأقســـى.. لذا كان العتق هو بديل هذه اللطمة.. لكي تكن ديتها يوم القيامة عن عذاب جهنم..

---

(١) زوجي يسيء معاملة الخادمة!.

(٢) رواه مسلم.

احذري من أساليب الإيذاء الجسدي والمعنوي.. وعليك بوصية النبي ﷺ في جميع أمورك عندما سأله رجل فقال: أوصني، قال: «**لا تغضب**» فردده مراراً، قال: «**لا تغضب**»[١].

ومن العائلات من تطلب من الخادمة أن تنام في الحمام.. ناهيك عن الضرب والإهانة.. وإلغاء الإجازات الأسبوعية.. وتأجيل الرواتب..

وفي بعض الأحيان يتم خصم نصف الراتب في حال إتلاف أو تخريب أي من القطع المنزلية..

وبعض الخادمات يتحكمن بغضبهن.. والبعض الآخر تقدم على ارتكاب جريمة في حق ربة المنزل أو أحب الأشخاص على قلبها؛ مثل أبنائها..

وقد يتحول غضبكِ عليها إلى انتقام منها.. وتشفٍّ يصيب أسرتك أو أطفالك.. دون أن تعلمي..

* * *

(١) رواه البخاري.

١٢ كوني داعية في بيتك

هناك أناسٌ يعيشون بيننا.. يحملون همَّ الغربة عن بلادهم.. أتوا للبحث عن قوت عيشهم.. يخدموننا فيأمرهم البعضُ منا أمرَ الأسياد لعبيدهم..

ومع ذلك قد يبخل البعض عليهم بكلمة طيبة.. أو بأمرٍ بالمعروف أو بتحفيظهم آية كريمة!..

بل إذا طُلب من إحداهنَّ أن تعلِّم خادمتها آية الكرسي.. أو صفة الصلاة وفق السُّنَّة الصحيحة.. قالت غاضبةً: وشغلُ البيت يكون على مَنْ؟![1].

فهذا نداءٌ لكل من تسكن عندها خادمة.. ألا تخرج من بيتها مثلما دخلتْ.. بل تُخرِجها داعيةً إلى الله في بلدها.. وليس ذلك بالأمر العسير!..

• شجّعي الخدم في البيت على حفظ شيءٌ من القرآن الكريم كبعض سور جزء عمّ.. أو آية الكرسي.. أو خواتيم سورة البقرة..

(١) الخادمة (بتصرف).

• أشـــركي بهذا الخير خدم أهلك وإخوانـــك ونحوهم.. فيعمّ الخير.. وقدّمي لمن حفظنَ هدايا تشجيعية رمزية..

• وفّري للخادمة في المنزل مصحفاً مترجماً بلغتها.. كي تفهم معاني كلام الله بشكل صحيح.. وكذلك بعض الكتيبات والأشرطة المترجمة التي تتعلم منها أمور دينها..

فعارٌ علينا أي عار إنْ عاد خدمُنا إلى بلادهم.. بعد أن مكثوا في بلادنا سنوات.. دون أن يزدادوا معرفة بدينهم ومحبة لربهم!..

وهذه الكتيبات والأشرطة تجدينها بسهولة في مكتب الجاليات ومكاتب الدعوة والإرشاد المنتشرة في كل مكان.

• تحدثي مع الخدم في المنزل.. ولو مرة واحدة في الأسبوع.. ولـــو لدقائق معدودات.. واشـــرحي لهـــم أمور الدين الأساســـية كالوضـــوء والصلاة وغيرهـــا.. تحدثي معهن عن الجنـــة والنار.. والبعث والحساب.. عرّفي لهن الكبائر وغيرها.. واحتسبي الأجر بأن يصبح هؤلاء الخدم دعاة بين أهليهم إذا رجعوا إليهم.. فتكونين بذلك قد تجاوزت بالدعوة إلى الله جدرانَ بيتك.. بل حدود وطنك إلى بلاد العالم البعيدة[١].

• ومن نِعَمِ الله علينا في بلادنا أن مكاتب دعوة الجاليات تفتح أبوابها لاستقبال كل داخلٍ وزائر.. وخاصة أولئك الذين يُحضرون معهم مَنْ يريد اعتناق الإسلام.. فلنقدّر هذه النعمة..

(١) كتاب أفكار للداعيات (بتصرف).

ولنرعَ الأمانة التي استرعانا الله إياها من دعوة هؤلاء الخدم والعمالة.. ليعودوا إلى بلادهم وقد انشرحت صدورهم للإسلام.. ويكون الاستقدام فرصةً لتآلف المسلمين وتعارفهم، ودعوة غير المسلمين للدخول في دين الإسلام..

• ولن يُصاب البيتُ ببأسٍ ـ إن شاء الله ـ إذا ذهبتْ خادمتُكِ لأحد المكاتب القريبة.. لحضور مجلس علم أو موعظة.. أو تعلّم قرآنٍ بلغتها.. ولك مثلُ أجرها يوم أن تحفظ آيةً.. أو تتعلم علماً.. وأجر من علَّمتْهُ إلى قيام الساعة..

• تذكري أنه لن ينقص من كرامتك شيء.. إذا أمرتِ خادمتك أن تَحْضرَ معكِ وقت وضوئك وصلاتك.. ولا ضيْر أن تؤمّيها أيضاً للتعليم والتطبيق بشكل صحيح!.

• أعدّي خادمتك لتكون المعلم للخادمات حين يجتمعن في مناسبة.. فهذا أدعى للقبول من بني جنسهن[١].

• احصلي على شريط أو كتاب بلغة الخادمة بدراهم معدودات.. من مكاتب دعوة الجاليات وأعطيه للخادمة.. وهذا لمن يتعذّر بضيق الوقت!.

• لا تبخلي على خادمتك بين الفينة والأخرى بإعطائها هديةً.. جزاء حفظ آية أو تعلّم حديث.. فالهدية لها تأثير جميل على النفس.. وثمرتها في الدعوة مباركة..

(١) الخادمة (بتصرف).

• جددي الطــرق وغيّري الأســلوب والعبــارات.. فالتجديد والتغيير له أثره في الدعوة.. وحبذا لو أُقيمت لمعشــر الخادمات بعض المســابقات العلمية الخفيفة.. لإشــاعة البهجة والسرور.. وتعليم العبادات والعقائد بطريقة سلسة ممتعة..

* * *

١٣ دعوة المظلوم

كم نسمع بين الفينة والأخرى من دعوات حرّى تنفلت من قلوب حرقى.. قد أحرقها طغيان الظلم والضيم.. فما تلبث إلا أن تسمع سيد ذلك الخادم مريضاً أو مسلوبَ المال أو مبتلىً بأحد أطفاله.. فاتقوا الله يَا أهل البُيُوتات.. واتقوا الله يَا أصحاب الخدم والتعهدات.. وأعطوا العمال والخدم أجورَهم في أوقاتها المحددة.. وإلا فأعدوا لمخاصمة نبيكم ﷺ جواباً[١].

في بيتك امرأة ضعيفة مسكينة هي الخادمة.. ربما ترفع يديها بالدعوات إن وقع عليها ظلم من أحد أفراد هذا المنزل أو غيره.. فتصيبكم سهام لا تخطئ.. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**اتَّقوا دعوةَ المظلومِ؛ فإنها تُحمَلُ على الغمامِ، يقولُ اللهُ: وعزَّتي وجلالي لأنصرنَّكِ ولو بعدَ حِينٍ**»[٢].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اتَّقوا الظُّلمَ؛ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ. واتَّقوا**

(١) إذا كثر الخدم كثرت الشياطين (بتصرف).

(٢) صحيح الجامع: ١١٧.

الشُّـــحَّ؛ فإنَّ الشُّـــحَّ أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءَهم واستحلُّوا محارمَهم»[١].

ويقول أيضاً: «**من كانت عنده مَظلمةٌ لأخيه فليتحلَّلْه منها، فإنَّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، من قبلِ أن يُؤخَذَ لأخيه من حسناتِه، فإن لم يكُنْ له حسناتٌ أخذ من سيِّئاتِ أخيه فطُرِحت عليه**»[٢].

فاحذر من الظلم والاعتداء على مـــن تحت يدك.. فربما يرفع يديه مستغيثاً بالله وداعياً عليك..

ومن أنواع الظلم: السب والشتم.. والضرب والإهانة.. والغيبة والنميمـــة.. وتكليفها من الأعمال ما لا تطيـــق.. وحرمانها مرتبها أو تأخيره.. وكذلك عدم إعطائها وقتاً للراحة.. وحرمانها من الأكل.. أو تأخيرها عن موعد سفرها، وغير ذلك.

يقول بلال بن ســـعد: «رُبَّ مســـرور مغبون.. يأكل ويشـــرب ويضحك.. وقد حقَّ له في كتاب الله ﷻ أنه من وقود النار».

فإذا قســـت القلوب واســـتُعبد الناس.. فنخشـــى أن يحلَّ علينا غضبه.. أو ينزل بنا سخطه.. بدعوة صادقة من قلب جريح على كل ظالم.. على مَن قست قلوبهم.. ونُزِعَت الرحمة من صدورهم.. على منْ أذاقت الخادمة أو الأجير ضرباً وشتماً.. على مَن أنكر حقّ العامل والأجير.. فيمحق الله بتلك الدعوة الرزق وينالهم عذاب عظيم..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

تقول الأستاذة أمل الصويلح: «كتبتُ ذلك عندما رأيتُ البعض قد تحوَّل إلى وحش كاسر.. تنكَّر لإنسانيته وتمرَّد على بشريته..

كتبتُ ذلك حتى تلين قلوب القُسَاة.. قبل أن تلين بالعقاب من الله ﷻ.. فرسول الله ﷺ يقول: «**إن اللهَ ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلتْهُ**» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢](١).

كتبتُ ذلك حينما رأيت بعض العاملات يُكَلَّفْنَ فوق طاقتهن من الأعمال.. وكأنهن آلة حديدية لا تمل ولا تكل!.

كتبتُ ذلك للتنبه من تلك الغفلة.. وتحذيراً من التمادي في التجبر والغرور.. قبل أن يأتي اليوم المحتوم..

كتبت ذلك للحد من هروب بعض العاملات نظراً لسوء معاملة أهل المنزل..

أخيّة.. أنسيتِ أن عهد الجاهلية قد مضى.. واستعبادَ الناس وإذلالهم قد انتهى؟!.. أنسيتِ أن الإسلام لا يفرق بين قوي وضعيف.. ورئيس ومرؤوس؟!..

ألا تخشينَ وقوفَكِ بين يدي الله.. وعليك مظلمةٌ لأختك المسلمة «الخادمة»؟!..

نعم إنها أختُك وواجبٌ عليك مراعاةُ حق الأخوة معها..

(١) أخرجه البخاري.

أليســت تدينُ بنفس ديانتــك.. وتوحِّد مَن توحِّديــن، وتنبُذ ما تنبذين؟!..

أم لأنها ضعيفــة.. وكالطير جريحة.. تركــتْ ديارَها البعيدة.. وأولادها النحيفة؟!.

ألا تخشين زوال النعمة وحلول النقمة؟!..

أليس الذي رزقكِ بل وكرَّمك على ســائر خلقه قادر على أن ينتزعها منك انتزاعاً؟ وحتماً ستجيبين: بلى.. بلى!..

أخيّة.. اعلمي أنها لم تتغرب لأجل بهجة وفسحة.. وإنما أتت لحكمة..

أتت لسد ثغرة فاهٍ دائماً مفتوحة.. ولمسْح دمعةٍ مذروفة..

فاتقي الله يَا أَمَة الله ما استطعت[١].

ولا يقتصر الأمر على رفع اليد فحســب.. بــل وحتى التلفظ باللســان من شــتمٍ وســبّ.. فقد نهى النبي ﷺ عــن ذلك فقال: «**ولا تَدْعوا علَى خدَمِكم**»[٢].

بعث عبدُ الملكِ بن مروانَ إلى أمِّ الدَّرداءِ بأنجادٍ[٣] من عنده، فلما أن كان ذاتَ ليلةٍ، قام عبدُ الملكِ من الليلِ، فدعا خادمَه، فكأنه

(١) الخادمة أمانة فلا تضيِّعيها، دار الوطن للنشر.
(٢) صحيح أبي داود (١٥٣٢).
(٣) جمع نجد، وهو متاع البيت الذي يزينه من فرش ونمارق وستور.

أبطأ عليه، **فلعَنه**. فلما أصبح قالت له أمُّ الدَّرداءِ: **سمعتُك الليلةَ، لعنتَ خادمَك** حين دعوتَه! فقالت: سمعتُ أبا الدرداءِ يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يكون اللَّعَّانون شُفُعاءَ ولا شهداءَ يومَ القيامةِ**»[١].

وإن النبيَّ ﷺ بعَث مُعاذاً إلى اليمَنِ، فقال: «**اتقِ دعوةَ المظلومِ، فإنها ليس بينَها وبينَ اللهِ حجابٌ**»[٢].

فلرب دعوة واحدة من هذه الخادمة تُذهب متعة الحياة.. وتفقدنا مَنْ نحب وما نحب!..

* * *

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري.

١٤ هل يمكن التخلص من الخادمة؟

تصرّح غالبية السيدات.. لا سيما العاملات منهن.. بصعوبة الاستغناء عن الخادمات في البيوت.. حيث يصعب عليهن القيام بكل المهام من طبخ وغسيل.. وتنظيف وتربية.. ولوازم الأطفال..

ويظن البعض أن لا سبيل إلى التخلص من الخادمة.. رغم أنه ظلّ في حالة جيدة عندما سافرت الخادمة في إجازتها..

وتتمنى إحداهن ألا تدخل بيتها خادمة.. ليرتاح بالها من مشكلة راتبها أو هروبها.. لكن تظن الحياة صعبة دون خادمة..

ويرى البعض أن الخادمة ينبغي ألا توجد بالبيت إلا لظروفٍ قاهرةٍ.. كمرض الزوجة.. أو أن تكون موظفة.. أو أن منزل الأُسرة كبير مع زيادة عدد أفراده.

وبعض السيدات اتخذت موقفاً صارماً.. قررن فيه الاستغناء عن الخادمة نهائيّاً..

فمن السيدات من استطاعت الاستغناء عن الخادمات.. نظراً لكثرة مشاكلهن.. حيث قامت بتقسيم مهام البيت بينها وبين بناتها

اللواتي تذمرنَّ في البدايــة.. لكنها أقنعتهن بأن المبالغ التي كانت تأخذها الخادمة هنَّ أولى بها..

ويتســاءل البعض: أيُعقل أن أســتقدم من يضايقني في حياتي الهانئــة؟ ويُقيِّد حريتي في بيتــي.. فلا آخذ راحتــي في الملبس والحركة؟.

وبغياب الخادمة عن المنزل.. تعود الأُلفة بين أفراد الأُســرة.. من خلال تعاونهم في الاهتمــام بالمنزل.. وحفاظهم على حياتهم وخصوصياتهم.. بعيداً عن أعين الغرباء..

ويعــود النشــاط والحركة في البيــت.. فالإفــراط في وجود الخادمات بالمنازل يصيب ربات البيوت بالســمنة وترهل البدن.. ومن ثم الأمراض وعواقب التحول إلى الأوزان الثقيلة..

ويمكن إيجاد حل وســط لربات البيوت اللاتي لا يســتطعن الاستغناء عن الخادمة.. وذلك بجلب خادمة تعمل بنظام الساعات.. فهذا في نظرهن ســيقلل من دور الخادمة في المنزل.. وســيعيد للأُسرة خصوصيتها..

تقول إحداهن وقد اســتغنت عن الخادمة: «لم أعدْ أخشى على زوجي من حيلهن الخبيثة.. ولا أخفيكم ســرّاً بأني كنت أخاف على أبنائي المراهقين.. وحاليّاً أعيش بلا خادمة.. بعد أن كنت لا أحتمل الاســتغناء عنهــا.. وبتُّ وعائلتي نشــعر بألفة وسعادة أكبر»..

وتقول إحداهن: «من الجميل حقّاً أن تخلو بيوتنا من الخدم.. خاصةً إذا وجدت القناعة بعدم حاجة ربــة البيت لها.. من خلال الحرص على تنظيم الوقت.. وتوزيع المهام والمســؤوليات على أفراد الأُسرة»..

وحســب الإحصائيــات التي تطالعنــا بها بعض الدراســات الاجتماعية عن نســبة وجود الخدم في بعض الدول العربية.. فقد وصلت إلى (٧٠٪)، مما يشــير إلى أن (٣٠٪) تقريباً من الأُســر لا تملك خادمة.. وذلك لعدة أســباب؛ منها: رفض رب الأُسرة أو سيدة المنزل لذلك.. نتيجة لظروف الأُسرة الاقتصادية..

فيما هناك أُســرٌ لا ترى ضــرورة لذلك.. لصغــر حجم أفراد الأُسرة.. أو لصغر حجم المسكن الذي تعيش فيه..

وأســر أخرى لا تحتاج للخادمة لوجود فتيات بالمنزل.. مما يساعد في تولي مهام وأعباء المنزل.

ولا ضير أن يساعد الزوج زوجته في أعمال المنزل.. وخاصة إذا كانــت مشــغولة أو مريضة.. فعملــه في المنــزل لا يقلل من رجولته.. خاصة إذا كان لا يستطيع تحمل ميزانية الخادمة بالمنزل..

ولا ينبغــي أن يترك الــزوجُ كلَّ أعمــال المنــزل لتقوم بها الزوجة.. ويكــون دوره في المنزل النوم فقــط.. وبالمقابل ليس معنى هذا أن يجلس هو في المنزل لمتابعة كل شيء.. وهي تخرج إلى أي مكان تريد!.

وبعض الرجال لا يجد حرجاً في دخول المطبخ والمساعدة في أعماله.. بل على العكس يشعر بسعادة كبيرة.. وهو يشارك زوجته في المطبخ.. إضافة إلى ترتيب المنزل.

وهناك عدد من الوسائل التي ربما تستطيعين بها التخلص من الخادمة:

- أخلصي النية لله ﷻ.. واعزمي على ألا تستقدمي خادمة من دون محرم..

- توكلي على الله ﷻ واحتسبي الأجر فيما تقومين به من خدمةٍ لبيتك وزوجك وأبنائك عند الله.. وأكثري من الاستغفار والتسبيح.

- التزمي بالهدي النبوي الذي علّمه ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها.. عندما أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسألها خادماً، فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء الرسول ﷺ أخبرته، قال علي: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال: «**مكانكما**» فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: «**ألا أدلكما على ما هو خير لكما مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين. فهو خير لكما من خادم**»[1].

(١) رواه البخاري.

• نظمي نومك وحاولي الاستيقاظ مبكّراً.. لقوله ﷺ: «**بورك لأُمتي في بكورها**».. مع إعطاء الجسد كفايته من النوم.

• اجعلي جدولاً أسبوعيّاً ويوميّاً لتقسيم أعمال المنزل.

• حثي أفراد الأُسرة على خدمة أنفسهم.. وعدم تحميل العبء على الأم وحدها.. بل الكل يشارك في أعمال المنزل.. وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك.. وهو خير منا جميعاً.

• استعيني بالأجهزة الإلكترونية المساعدة.. من غسالة ونشافة أتوماتيك للملابس.. وغسالة أطباق.. فهي تختصر الوقت في المطبخ وجيدة في التنظيف.

• استغلي أوقات الفراغ في تجهيز ما يمكن إعداده ووضعه في الثلاجة.. والاستفادة منه أوقات الذروة والانشغال.

• عوّدي الأطفال منذ الصغر على ترتيب غرفهم وأماكن جلوسهم.. وإعادة كل شيء مكانه فور الانتهاء منه.. واعتمدي عليهم في بعض الأعمال المنزلية المناسبة لعمرهم.. وشجّعيهم على ذلك وكافئيهم.

• اتفقي مع الزوج على المساعدة في بعض الأعمال المنزلية.. ككي بعض الملابس خارج المنزل.. وجلب الأكل من المطعم في حال انشغال الزوجة بالأعمال المنزلية ذلك اليوم.

• إحياء ثقافة «اخدم نفسك بنفسك».. وقد كان صحابة رسول الله يفعلون ذلك..

قالَ قائلٌ من الصحابة: يَا رسـولَ اللهِ، إنَّا قـد بايَعْناكَ، فعلامَ نُبايعُكَ؟ قالَ: «**أن تعبُدوا اللهَ ولا تُشرِكوا بهِ شيئاً، وتُصلُّوا الصَّلواتِ الخَمسَ، وتَسمعوا وتُطيعوا**» وأسـرَّ كلِمةً خَفيَّةً، قالَ: «**ولا تسألوا النَّاسَ شـيئاً**» قالَ: فلَقدْ كانَ بعضُ أولئِكَ النَّفَرِ يسقُطُ سوطُهُ فما يسألُ أحداً أن يُناوِلَهُ إيَّاهُ[1].

• وإذا كانت جميع بنات حواء تهمهن رشـاقتهن.. أو تكسب الرشـاقة التي تتمناها.. فعليها بالأعمـال المنزلية!.. تقول إحدى الخبيـرات: إن «رياضة تنظيف الأرض» بالطريقـة البدائية.. (أي: تأخذي القماشة.. وتمسحي بها الأرض) من أحسن الوسائل لإزالة الدهن الزائد من البطن!..

• الاتفاق مع بعض الأهل أو الجيـران ممن لديهم خدم على استئجار الخادمة يوماً في الأسبوع للمساعدة في الأعمال المنزلية.. أو استئجارها من بعض المكاتب التي توفر هذه الخدمة..

• الاستعانة بالحضانات التابعة لدور العمل الخاصة بمختلف المؤسسـات النسـائية.. وقد كثر في الآونة الأخيرة وجود رياض للأطفال وحضانات لهم.. فتستطيع الأم وضع صغارها في أيدٍ أمينة غالباً وتحت إدارة وتوجيه..

ومن إيجابياتهـا: أن الطفل يتعلم في الروضـة.. ويجتمع مع أطفال آخريـن.. فيكون بلا شـك أفضل من جلوسـه مع خادمة

(١) صحيح أبي داود (١٦٤٢).

أجنبية.. ليس من مهمتها التعليم ولا التطوير.. بل قضاء احتياجات الطفل الأساسية فقط..

• الاستعانة عند الحاجة بالخادمات المحليات.. لكي تعمل عندها ساعات محدودة في اليوم.. فتقوم بالأعمال التي تتطلب جهداً ووقتاً.. مثل: تنظيف غرف المنزل وغسل الملابس وكيها.. وهذه الخادمة لا تنام عند الأسرة.. ولا تختلط بها.. بل لها بيت تنام فيه.. وتأثيرها محدود جدّاً..

وهذه الخادمة المحلية لا يلحق الأُسرة إثم استقدامها من دون محرم مثل الخادمات الأُخر.. وأجرها قليل مقارنة بالخادمة المستقدمة التي لو حسبت أجرة استقدامها.. وقيمة إقامتها.. وتذكرة العودة ومرتباتها لكانت ضعف أجرة الخادمة المحلية.

والاستعانة بالخادمة المحلية تكون لبعض الوقت.. وليس كل الوقت.. في نظافة البيت وترتيبه.. وليس في تربية الأطفال أو الطبخ.. أو التكفل بخصوصيات الزوج التي هي من حقك فقط لا غير..

• لا بد من تحمّل بعض التقصير والتأخير في ظل غياب الخادمة.. ولا بد أن يوطّن الإنسان نفسه على أن مثل هذا أمر وارد.. فليحتسب ذلك عند الله ﷻ ولا يغضب ولا يصرخ![1].

(١) في بيتنا خادمة. (بتصرف)؛ بيوتنا بلا خادمات (بتصرف).

• تقول إحدى الفضليات:

ما لم تكوني بحاجة ماسة للخادمة:

استغني عن الخادمة.. وستكسبين صحتك وجمالك..

استغني عن الخادمة... وستكسبين مالك..

استغني عن الخادمة.. وستكسبين زوجك وأولادك..

استغني عن الخادمة.. وستكسبين الأجر..

* * *

١٥ فتنة السائق

• فتنة عظيمة.. هي فتنة الســائقين في البيوت.. الذين جعلهم كثير من الناس بديلاً عنه في الخدمة.. فإذا ببعضهم يتحول إلى أداة شر فاسدة.

ومن المحزن حقّاً أن ترى كثيراً من المســلمين عجز أن يقوم بمتطلبات منزله..

فعمد إلى استقدام سائق.. ثم جعله نائباً عنه في كثير من الأشياء..

ويُولي بعض الناس السائقين والخدم ثقةً مطلقةً.. ويتساهلون معهم إلى حد التفريط وعدم المبالاة بالعواقب والنتائج..

فالســائق ـ مثلاً ـ وُضع تحت إمــرة النســاء ـ الصغار منهن والكبار ـ يذهب بهن حيث شئن.. إلى مدارس وأسواق.. أو زيارات لجيرانٍ وصاحبات.. أو حضور العديد من المناسبات..

يذهب بالجميع منهن أو الواحدة دون محرم..

تركب إحداهن مع ســائق المنــزل.. منفردة معــه وكأنه أحد محارمها!..

يوصل البنات إلى مدارسهن..

ويوصل الزوجة إلى السوق والعمل وحدها..

ويأتي بحاجيات المنزل ومتطلباته..

ويا ليت أن رب المنزل مشغول بعمله.. بل إنه كسلٌ وعجزٌ عن تحمل المسؤولية.. أو مظاهر كاذبة.. ورفاهية زائفة..

وقد يسافر أحدهم الشهر والشهرين.. ويترك السائق وحده مع الزوجة والأطفال الصغار!..

وقفت امرأةٌ تنتظر على باب أحد المستشفيات في وقتٍ متأخرٍ من الليل..

فلما سُئلتْ عن سبب وقوفها في هذا الوقت.. قالت: سائقي أنزلني هنا ثم ذهب على أن يأتي بعد فترة قصيرة فتأخَّر.. ولم يأتِ إلى الآن!.

وأين زوجك؟..

قالت: مسافر قد ذهب إلى الصيد!.

• والبعض ينظر إلى السائق والخادم على أنه ليس برجلٍ غريب..

وهذا ما جعل دوافع الفساد والعبث عند السائق سهلة وميسّرة..

فقد يعبث بعرض مخدومته إما رغبة منه بذلك.. وإما تحت تهديد المرأة لفسادٍ في نفسها.. وخلو البيت من الرجل..

«دخل مسلمة بن عبد الملك على أخيه الخليفة هشام بن عبد الملك.. وعنده خادم جميل..

فقال له مسلمة: يَا أمير المؤمنين، أي فتياننا هذا؟.

قال: هذا خادم لي..

فقال: يَا أمير المؤمنين، يدخل على حرمك مثل هذا؟.

قال: إنه مجبوب لا يقدر على النساء!..

قال: **إن لم يقدرْ عليه.. ذكّرها الرجالَ**.. فأخرجَه هشام»..

• وبعض السائقين الذين مُكِّنوا من الخلوة بالمرأة بشرٌ فسدت فطرهم.. جاؤوا من بلاد انتشرت الرذيلة عندهم.. حتى أصبحت شيئاً مألوفاً.. وإن شخصاً يُنشّأ في ذلك المجتمع لا يُؤتمن على أعراض المسلمات[١]..

هذا السائق جاء إلى البلاد حتى يعيش ويقتات.. ولا همَّ له إلا ذلك.. لم يأتِ مصلحاً لشأنٍ ولا واعظاً عن خطيئة.. فإذا ببعض الناس يتعامل معه.. وكأنه يتعامل مع جدار جامدٍ.. وصخور صماء..

فما يلبث إلا وقد أُطلع على المحارم.. فيرى النساء بلا ستر ولا حجاب.. ويسمع كلاماً وضحكاً يحرّك الجبال الشاهقة.. ويظنون أنه ليس برجل!..

---

(١) خطر الخدم والسائقين، دار الوطن.

وهذا التساهل هو رأس الشر كله..

بعض النساء يخرجن مع السائق بكامل الزينة إلى الأعراس.. عطور فواحة وضحكات فاتنة..

فكيف به لا يضعف؟!.. وكيف به لا يطمع؟!..

فكأن هذا السائق من جنسٍ غير جنس البشر..

وبعض النساء تكشف الوجه أمامه.. وتتباسط معه في الحديث.. وما هو إلا رجل فيه فطرة الله التي أودعها في كل إنسان[١]..

• خطر الخدم والسائقين على المحارم والأعراض:

والبعض يتساهل أكثر فيسمح بدخول السائق إلى منزله.. فيرى الزوجة والبنات وهن متكشفات.. أو لا يمانع في أن تذهب ابنته إلى السائق في غرفته.. بحجة أنها تعطيه الأكل.. وربما أدى هذا إلى تعلق الفتاة بالسائق.. أو أن يتعلق بها فيبدأ التفكير بالطريقة التي يستطيع بها أن يتمكن من هذه الفتاة..

وبعض السائقين لديه مكر شديد.. ويعرف الكثير من الوسائل التي توقع بالفتيات في شراكه[٢]..

---

(١) أخطار تهدد البيوت بالانهيار.

(٢) السائق المشكلة (بتصرف).

قالت إحدى الفتيات:

«كانت أُســرتي ترسلني أحياناً للســائق ببعض المأكولات وأحياناً لأناديه.. وكان هذا السائق يتعمد ترك المجلات الخليعة على ســرير نومه.. فكنت تارة أناديه فلا يرد النداء.. ثم يخرج بملابســه الداخلية.. وتارة أجده مســترخياً على ســرير نومه والمجــلات المتنوعة مبعثرة يمنة ويســرة.. فوجدت نفســي مندمجة في مطالعــة تلك المجلات الخليعة رغــم أنها باللغة الإنجليزية.. وفي يومٍ من الأيام أفقدني السائق أثمن ما تمتلكه أي فتاة..».

نحنُ الذين غرسْنا في أضالعنا ... ســيوفَنا وعبثْنــا فــي روابينا
رماحُنــا لــم تنــلْ إلَّا أحبَّتَنا ... ونارنُــا لــم تنــلْ إلا أهالينــا

والدين لم يســمح بهذا لأطفالهم في جميع الحالات.. إذ أمر ســبحانه بأن يســتأذنوا في بعض الأوقات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾ [النور: ٥٨].

فإذا كان الله ـ جلَّ وعلا ـ لا يسمح لأولادكم أن يروا النساء في الأوقات التي هي مظنة التساهل في الســتر.. لئلا ينقش في ذهن الولد من رؤية العورات ما يشتغل به خياله.. فكيف يُسمح لهؤلاء الخدم ما لا يسمح به الشرع للأطفال الصغار؟!.

وقد يصبح السائق أكثر اختلاطاً بنساء البيت من الأب مع بناته.. ومن الزوج مع زوجته..

فالسائق يعرف ذوقها في الألوان.. ويعرف مزاجها في الاستيقاظ والنوم..

ويعرف ما تحب من الأطعمة ونحو ذلك..

والمرأة مخلوقٌ ضعيف.. كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]..

وقد تظهر تصرفات السائق أو الخادم على أنها نوع من المجاملات العادية.. فقد يهدي للبنت أو للزوجة.. أو يثني على مظهرها.. فهو الذي يذهب بها إلى مكان التجميل.. وقد تسمع منه ما لا تسمعه من زوجها..

إنَّ الرجالَ النَّاظرين إلى النِّسا مثلُ الكلاب تطوف باللُّحمانِ
إنْ لم تصنْ تلكَ اللحومَ أسودُها أُكلتْ بلا ثمنٍ ولا أثمانِ

وبعض النساء تقول: إنها واثقة من نفسها ولا يهمها نظرة السائق لها.. ولا تعلم المسكينة أن تلك النظرات تثير عند السائق الشهوات..

وعندما يرى شيئاً من عورتها.. عند صعود السيارة أو النزول منها.. أو عند العودة من أماكن تزيين السيدات وغيرها.. فإن هذا المشهد يرسخ في ذهنه ولا يفارقه.. بل إن شهوته تطمح إلى المزيد والمزيد..

يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إي والله، **وما رأى شابٌّ فتاةً إلا جرَّدها بخياله من ثيابها.. ثم تصوّرها بلا ثياب**.. إي والله، أحلف لك مرة ثانية.. ولا تصَدِّقي ما يقوله بعض الرجال.. من أنهم لا يرون في البنت إلا خلقها وأدبها.. وأنهم يكلمونها كلام الرفيق.. ويودونها ود الصديق.. كذب والله.. ولو سمعت أحاديث الشباب في خلواتهم.. لسمعت مهولاً مرعباً»[(١)]..

ومن خطورة السائق أنه يعلم ويجمع الأخبار.. وللأسف فبعض النساء يرافقهن السائق إلى داخل المحلات التجارية.. فالمرأة تشتري وهو الذي يحمل.. فيعرف أخصَّ ما تحتاج إليه من الأمور[(٢)]..

إياكم والخلوة والاختلاط بالخدم.. سواء كان ذلك من السائق لأهل البيت.. أو من أهل البيت للخادمة.. وأيّاً كان ذلك في المنزل أو في السيارة.. أو في أي مكان آخر.. فقد يتسبب ذلك في وقوع المحظور الشرعي..

وقد حدث هذا في زمن الطُّهر زمن النبي ﷺ في قصة الأجير الذي كان يخدم امرأة فزنى بها.. فكيف بزماننا هذا الذي تعددت فيه المغريات وتنوعت.. وأضحت المنكرات فيه قريبة المنال؟!..

---

(١) الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا ابنتي.

(٢) أخطار تهدد البيوت بالانهيار (بتصرف).

روى أبو هريرة وزيد بن خالد الجهني: كنا عِندَ النبي ﷺ، فقام رجلٌ فقال: أنشـــدك الله إلا قضيت بيننا بكتـــاب الله، فقام خصمه، وكان أفقه منه، فقال: اقضِ بيننا بكتـــاب الله وأذن لي؟ قال: «**قُلْ**» قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته، فافتديت منه بمئة شاة وخادم، ثم ســـألت رجالاً من أهل العلم، فأخبروني: أن على ابني جلد مئة وتغريب عام، وعلـــى امرأته الرجم. فقال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جلَّ ذكره، المئة شاة والخادم رد، وعلى ابنك جلد مئة وتغريب عام، واغد يَا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**». فغدا عليها فاعترفت فرجمها[(١)].

فعلى كل أب أحضر ســـائقاً لبيته مع قدرته علـــى القيادة.. أو وجود من يقوم بذلك من الأبناء أن يتقي الله في زوجته وبناته.. وألا يترك الحبل على الغارب.. فإن الســـائق رجل كباقي الرجال.. وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما.

يقول ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[(٢)]..

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت**»[(٣)].

فأيّ غش وأي ضياع أعظم من إهمال المرء لأهله؟!.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد وأبو داود، وهو حديث حسن، انظر: إرواء الغليل (٨٩٤).

• **كيف تدرئين الخطر؟:**

ـ فهذا السائق رجل أجنبي.. فلا يجوز أن يعامل وكأنه من المحارم.. فتختلط به النساء من غير حجاب.. ويداعب البنات ويلعب معهن.. بحجة أنهن صغار..

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]..

ـ ولا يجوز للمرأة الخلوة مع السائق الأجنبي حيث لا يسمع أحد ولا يرى أحد.. قال ﷺ: «**ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»..

ـ حافظي على سترك وحيائك.. وعدّيه رأس الفضائل والمخاطر.. فلا تتساهلي في هذا الأمر..

ـ ففي بعض بيوتات المسلمين لا تتورع المرأة من أن تظهر محاسنها أمام الأجنبي.. وخاصة السائق أو الخادم.. يطرق البابَ فتفتحُ البابَ.. وهذا الطارق لعلّه ليس قريباً.. ولا من المحارم.. فكيف تبدو المرأة أمامه هكذا بلا حيطة؟!..

ـ التزمي حدود الله في معاملة هذا الرجل الأجنبي الغريب.. فهو رجل وإن كان فقيراً معدماً..

ـ لا تنفردي مع السائق بطريق.. وإن كان ولا بد من الذهاب معه فخذي معك من المحارم البالغين أو النساء من يكسر الخلوة قدر المستطاع..

ـ إياك أن تتزيني أمام ناظريه.. فركوب المرأة السيارة مع السائق متعطرة متبرجة مخالفة لأمر النبي ﷺ.. وعدم ارتكاب هذا الذنب فيه صيانة للخادم (السائق) عن الإثم.. وحفظ لدينه ونفسه عن الفتنة؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**أيُّما امرأةٍ استعطرتْ ثُمَّ خَرَجَتْ، فمرَّتْ علَى قومٍ ليجِدُوا ريحَها فهِيَ زانيةٌ**»(١).

وقد ورد عن يحيى بن جعدة: أن عمر بن الخطاب خرجت امرأة في عهده متطيبة.. فوجد ريحها فعلاها بالدرة.. ثم قال: «تخرجن متطيبات فيجد الرجال ريحكن.. وإنما قلوب الرجال عند أنوفهم، اخرجن تفلات»(٢).

ـ بعض النساء تتحدث بالجوال معظم الوقت.. وهي في السيارة وحدها مع السائق.. تكشف عن ساعدها ماسكة بالجوال.. وتلين في الحديث مع صاحبتها أو مع من تتحدث إليه.. وما يرافق ذلك من ضحك وغيره.

ـ إياك أن تتكلمي على مسامعه بأي كلامٍ خارج حدود الحاجة.. ولا تتكلمي كلاماً فيه وصف للنساء أو تحدثٌ بمحاسنهن..

فمن الناس من يطرب لسماع كلام النساء حين يخضعن بالقول.. فالله تعالى يقول: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]..

---

(١) صحيح الجامع (٢٧٠١).

(٢) صحيح عبد الرزاق: ٣٧٠/٤.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: أي لا تُلِنَّ القول.. أمرهن الله أن يكـــون قولهن جزلاً وكلامهن فصـــلاً، (أي: يكون كلامها جادّاً مختصراً ليس فيه ميوعة)..

ـ إياك أن تخضعي بالقول أو تضحكي أمامه.. فإن هذا لا يجوز وداعٍ لفقد الحياء.. وقد تُظهريـــن مثل ذلك دون قصد منك.. لكن بسبب الجهل بالأحكام..

روى الشيخ محمد راتب النابلسي في تفسيره: أنَّ امرأةً وقفت أمام بائع، وساومته على ســـلعةٍ.. ويبدو أنها لجهلها بهذا الحكم الشـــرعي خضعت بالقـــول.. وألانت له الـــكلام.. قالت له: نحن جيرانك، ألا تراعينا؟ قال لها: أين بيتكم؟ قالت له: هنا بيتنا.. من أجل أن تخفِّض من قيمة هذه الحاجة..

ألانت له القول.. فلمـــا ألانت له القول طمـــع الذي في قلبه مرض.. لأن أيّ حركة غير طبيعيـــة، أو أي طريقة في الكلام غير طبيعية؛ فهذه كأنها دعوةٌ للأجنبي أنْ يقارب هذه المرأة..

وإلانة القول خضوعٌ لهذا الرجل فـــي تنفيذ رغبته.. انظروا إلى دقة الآية، إلانـــة القول عبّر عنها القـــرآن بالخضوع.. فلمّا ألانت له القول كأنهـــا خضعت لرغبته، أو كأنها أشـــعرتْه أنها خاضعةٌ لغربته..

فما كان من هذا الرجل صاحب المحل التجاري بعد قليل إلا طرق بيتها، ووضع رجله في الباب، واقتحم البيت، لأنه طمع بها..

فأرسلت أحد أولادها إلى أبيه تستنجده.. فلم يتروَّ الأب، ولم يفقه حقيقة الأمر.. جاء معه الشرطة، وضبط رجلاً في بيتٍ مع امرأته، وطلَّقها، وله منها خمسة أولاد، والقصة علِمتُها من زوجها..

فأيّة كلمةٍ مع البائع فيها لين.. كأن تقول له: قلبك قاسٍ علينا، ألا تراعينا.. تسأله: كم سعر هذه الحاجة؟ فإما أن تشتري، وإما أن تذهب، هذه هي المرأة المسلمة.. لأن الكلام الجاد لا يمكن أن يوحي للرجل بأي معنى.

يؤكد هذا المعنى أن بنت سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قالت: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] وانتهى الأمر..

ولو أنها قالت: إن أبي يدعوك، يقول لها: من أبوك؟ وما المناسبة؟ فيحدث حوار بينهما.. ولكنها أعطته الكلام كله، أعطته كلاماً لا يحتاج إلى تفسير: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، وهو حينما خاطبها قال كلمةً موجزةً لا تحتمل كلمة ثانية: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص: ٢٣].

فأيّ كلامٍ آخر فيه مودة، وفيه إلانة بالقول لا يجوز.. فالمرأة مأمورة ألا تخضع بالقول لئلا يطمع الذي في قلبه مرضٌ..[١].

(١) تفسير الشيخ النابلسي.

• السائق والأطفال:

في الصباح الباكر يحمل السائق (الغريب) فلذات أكبادنا.. يمضي بهم إلى مدارسهم..

يخرج طفل الروضة ليجد السائق بانتظاره.. يمسك بيده في طريقه إلى السيارة في مزاح فوق اللزوم.. واختفاء للكلفة بين السائق والأطفال..

وبنات في سنٍّ أكبر من عمر الروضة.. تركض وتحضن السائق بعد المدرسة.. وهي سعيدة فرحة!.. وقد ألقت إليه بشنطتها وأغراضها![1]..

فتيات في عمر الزهور يركبن مع السائق دون رقيب أو محرم.. وأحيانا تجد السائق يتحدث إليهن وكأنه واحد من أفراد الأُسرة..

وكثير من السائقين يجوبون الشوارع في كل الأوقات.. يحملون معهم الأولاد (بنات وبنين) صغاراً وكباراً دون وجود محرم أو رقيب.. فضلاً عن خروج السائق أحياناً مع الأولاد للتنزه أو التسوق.. أو للتنقل من منطقة إلى أخرى.

ووجود السائق في دائرة الأُسرة أعزب موضوع شائك ومعقد.. ولا يقف عند الاعتداء على الأولاد بشكلٍ أو بآخر..

---

(١) خطورة اصطحاب السائقين لأطفال الروضة (بتصرف).

فقد انتشـــرت في الفترة الأخيـــرة وبصورة متكـــررة حوادث التحرش الجنسي بالأطفال من قبل العمالة المنزلية.. مما قد يسبب آثاراً مدمرة عند الطفل أو الطفلة تتمثل في الخوف والقلق.. والتبول اللاإرادي وقضم الأظافر.. والتدهور في المستوى الدراسي..

كما أن التحرش الجنســي بالطفل يمكن أن يؤدي إلى شذوذ الذكور المتعرضيــن لهذا التحرش في المســتقبل.. كما قد يؤدي التحرش الجنســي عنــد الأطفال الإنــاث إلــى إصابتهن ببعض الأعراض في الجهاز التناسلي..

خطورة ندركها حين نقرأ دراسة أعدتها د. مها المنيف و أ. هيا الســويلم وأظهــرت أن (٢٢,٥٪) من الأطفال تعرضــوا للتحرش الجنسي.. وأن (٨٢٪) من التحرشــات الجنسية حدثت في بيئات آمنة بالنسبة للطفل.. كما أن (٧٧٪) من المتحرشين هم أشخاص موضع ثقة للطفل!..

فالطفل في ســن مبكرة لا يعرف الفرق بين التصرف المقبول مع السائق.. والتصرف غير المقبول..

والسائق لا يمكن أن يحل محل الأب بأي حال من الأحوال.. ولا حتى في مشوار الروضة.

فكم طفل وطفلة أُغتُصبوا في البِداية.. ثم يهدّد السائقُ الطفلَ إن أخبر أهله فســوف يقتله.. عندها يخضع الطفل لابتزاز السائق جنسيّاً.. ويُلبي حاجة هذا السائق الحيوان خوفاً منه..

والطفل بريء بِطبعه لأقصى ما تتخيلون.. فعندما يبدأ السائق بالتحرش به لا يُدرك ماذا يريـــد.. ولا يعي معنى حركاته.. ويقول الخبراء: إن ما يُعلَن عن تحرشات واعتداءات السائقين أقل بكثير من الحالات غير المُعلنـــة نظراً لِتكتم الطفل أو الأُســـر خوفاً من انتشار السمعة والفضيحة..

ومعظم هؤلاء السائقين غير مسلمين ومُختلفين عنا باللغة والبيئات..

وجلّ همِّ الأهل سائق يذهب ويأتي بالطفل من وإلى المدرسة أو الروضة..

وهؤلاء الأطفال في خطر.. فهم ضحايا انشغال الأهل عنهم.. فالأُم موظَّفة والأب كذلك..

الأب الـــذي انشـــغل عـــن أولاده بالدنيا وترك أبنـــاءه بأيدي الســـائقين فلا حســـيب ولا رقيب.. وقد يضيع الابن فيشِبّ وقد ضاعت رُجولته.. أو يتحول إلى مريض نفســـي أو يميل لعلاقات المِثليين.. حمى الله أطفالنا من كل مكروه[١].

ومن أصعب المواقف التي قد يمرّ بها الوالدان اكتشـــافهم أن أحد أبنائهم تعرّض للتحـــرش.. وتتعدد الأســـباب وتتنوع.. وقد لا يكون «الإهمال» هو السبب في كل الحالات.. فقد يكون السبب هو «الثقة» لمن تمت معاشرتهم لسنين.

(١) أ. فوزية الحربي: احذروا السائق على أطفالكم.

وقد يقوم بعض الخدم باستغلال «الثقة» بمخدوميهم.. من خلال السنين التي أمضوها معهم.. مظهرين حسن التعامل والتودد.. وقد يكون إظهار «التديّن» عامل إغراء.. فيظن أولياء الأمور أن أبناءهم قد تُركوا في أيدٍ أمينة..

وقد أشارت الأستاذة حليمة العثمان المختصة في إقامة الدورات التوعوية ضد التحرش بالأطفال إلى أن هناك حالات كثيرة تصلهم لأطفال تم التحرش بهم من قِبل أشخاص وثقوا فيهم.. لكون أولياء الأمور يغفلون عن مراقبة أطفالهم حينما يكونون برفقتهم.. أو حينما يشاهدون التلفاز أو عبر الأجهزة الذكية أو أثناء اللعب.. كما أنهم يغفلون عن مشاهدة ملابسهم الداخلية.. مما قد يؤخر اكتشافهم لتعرض الطفل للتحرش.. أو عدم معرفة ذلك نهائياً..

وإذا لم يتم تدارك الأُم.. فقد تهتز ثقة الطفل الذي تم التحرش به.. ويصبح منطوياً وغير قادر على الدفاع عن نفسه.. وعندما يكبر قد يتحرش بمن هو أقل منه سنّاً، أو يدمن أن يتحرش به الآخرون..

وتروي الأستاذة حليمة قصة أُمٍّ جنّ جنونها عندما اكتشفت عن طريق الصدفة أن السائق الذي يعمل لديهم منذ سنوات.. يتحرش بابنتها التي تبلغ من العمر (٨) سنوات.. وذلك عندما انفتح خطّ هاتفه دون أن ينتبه.. لتسمع الأُم توسلات ابنتها بأن يتركها.. فقامت الأُم تحت تأثير الصدمة بطرد السائق فوراً.. ولم تسلمه للجهات المختصة خوفاً من الفضيحة.. مع حيرةٍ تملؤها.. فهي لم تلحظ

على الســـائق ذي الملامح الوقورة لكبر سنه.. طوال سنوات عمله لديهم.. سوى حسن الخلق والتعامل والتديّن.. لتعلم بأن كل ذلك كان تحايلاً لتثق فيه العائلة ثِقةً مطلقة.

تقول إحدى الأُمهـــات: «حتى هذه اللحظة لا أصدق ما حدث لصغيري.. فرغم مرور ثلاث ســـنوات على تلك الواقعة.. إلا أنها خلّفت في قلبي جرحاً لا يبرأ..

كان ابني أحمد آنذاك بسنوات عمره الأربع يرافق السائق إلى مدرسته كل صباح.. واستغل الســـائق تعلّق ولدي به وكأنه والده.. وقام بالاعتداء المتكرر عليه..

بدأ ولدي يشكو ضعفاً جســـديّاً ولم تعد به رغبة في الطعام.. وتطور الأمر معه لرفض الذهاب إلى المدرســـة.. حتى إنني كنت ألجأ أحياناً إلى ضربه كي يذهب إلى المدرسة..

وذات يوم هاتفوني من مدرســـته.. فولدي قـــد أغمي عليه.. أســـرعتُ بالذهاب إليه.. نقلته للمستشـــفى.. وهناك بقي أسبوعاً واحداً ثم مات..

تبكي هذه الأُم وهي تنهي بتلك العبارة الرهيبة: قالوا: إن سبب موته تعرضه للاغتصاب..

ورغم أن السائق قد نال جزاءه لكن أحمد لن يعود..

وقد استيقظت إحدى الأُسر يوماً على فاجعة مذهلة.. بحثوا عن ابنتهم الصغيرة فلم يجدوا لها أثراً..

هربتْ مع عشيقها الفقير غير الوسيم.. الذي يزعم كثير من الناس أنه ليس رجلاً.. هربتْ مع السائق!..

فما الذي يحدث لأطفالنا الذين هُم أمانة في أعناقنا؟! ورسولنا الكريم محمد ﷺ قد قال: «**كلُّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رعيَّتِه**»[(١)].

فهل رعينا الله في هذه الأمانة التي فرّطنا فيها؟! ولِنقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وماذا بعد يَا آباء ويا أمهات ماذا تنتظرون؟[(٢)].

• نصائح لأولياء الأمور:

ـ لا بد من توعية الطفل بمفهوم التحرش وطرقه وأساليبه.. وكيف أنه في حال تعرّض الطفل لذلك ينبغي عليه عدم التردد وسرعة إبلاغ الأهل مُباشرة..

ـ علّموا الطفل أجزاء جسمه التي لا يسمح للآخرين بلمسها..

ـ راقبوا الطفل من حين لآخر فيما يطّلع عبر التلفاز وجهازه الذكي.

ـ عدم غلق الباب على الأطفال حين اللعب.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أ. فوزية الحربي: احذروا السائق على أطفالكم.

ـ تعويد الطفل على الصـــراخ حين تعرضه لأي أذى.. حتى لو كان بسيطاً.. وعدم تعنيفه[١]..

ـ تجنبوا ترك الأولاد الصغار أو أحدهم مع السائق.. في مشوار المدرســة أو أي مشــوار آخر.. بل يرافقهم إخوتهم الكبار.. فيتم إيصال الأطفال أولاً.. ومن ثمّ الإخوة الكبار.. فإن لم يُوجد إخوة كِبار فيجب أن ترافق الطفل خادمة على الأقل.. فلا يذهب بمفرده مع السائق..

ـ حاولوا إحضار زوجة السائق إلى جانب زوجها.. ومرافقتها له في كل تحركاته.. فهي مطمئنة للأســرة.. وتحافظ على الأولاد.. بسبب وجود الزوجة وتحصين الزوج..

ـ حبذا لو تسنُّ قوانين جديدة تجبر الأسر على استقدام السائق مع زوجته.

* * *

(١) ليلى باعطية: متى يتجرأ السائق على التحرش بأطفال مخدوميه؟.

المراجع

١ ـ أ. إبراهيم محمود العثمان آغا: **الخدمة في البيوت أحكامها وضوابطها الشرعية** (رسالة ماجستير)، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ـ بيروت، دار أبي الفداء للنشر ـ حماة ٢٠١٢م.

٢ ـ أ. نادر بن بهار العتيبي: **المخالفات العقدية لدى العمالة المنزلية وآثارها على الأسرة ـ دراسة نظرية ميدانية** (رسالة ماجستير)، ١٤٣١هـ.

٣ ـ أ. خالد بن إبراهيم الزكري: **أثر الخادمات الأجنبيات على التفاعل الاجتماعي في الأُسرة** (رسالة ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، ١٤٢٥هـ.

٤ ـ أ. عواض حمد الحساني: **معاملة الخدم في ضوء السُّنَّة النبوية وتطبيقاتها التربوية في الواقع المعاصر** (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ.

٥ ـ أ. عنبرة الأنصاري: **أثر الخادمات الأجنبيات في تربية الطفل بمدينتي مكة المكرمة وجدة من وجهة نظر الأُمهات** (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٦ ـ د. محمود محمد كسناوي: الآثار التربوية والاجتماعية للخادمات (رسالة ماجستير)، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، ١٤٠٩هـ، العدد الثاني.

٧ ـ اعتدال عطيوي: **تأثير الخادمات الأجنبيات على التوافق الشخصي والاجتماعي على تلميذة الابتدائية** (رسالة ماجستير)، كلية التربية بجامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٨ ـ أ. محمد بن عمر بازمول: أحكام الخدم في الشريعة الإسلامية، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٧م.

٩ ـ د. محمد الخميس: **الخادمات وأثرهن على الأُسرة والمجتمع**، دار الوطن ـ الرياض.

١٠ ـ أمل الصويلح: **الخادمة أمانة فلا تضيِّعيها**، دار الوطن للنشر ـ الرياض.

١١ ـ د. غادة بنت عبد الرحمٰن الطريف: **جرائم الخادمات بالمجتمع السعودي** (دراسة ميدانية على عينة من الأُسر بمدينة الرياض)، (المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب) الصادرة من جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، في العدد (٥٣)، شهر رجب ١٤٣٢هـ.

١٢ ـ أ. حمود بن إبراهيم السليم: **خطر الخدم والسائقين**، دار الوطن ـ الرياض.

١٣ ـ **أخطار تهدد البيوت بالانهيار**.

١٤ ـ د. خالد الشنتوت: **خطر المربيات غير المسلمات على الطفل المسلم**، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، ١٤١١هـ.

١٥ ـ أ. عبد الحميد السحيباني: **التنبيه إلى أضرار ومخاطر الخادمات والسائقين**، دار خزيمة ـ الرياض.

١٦ ـ **أخطار تهدد البيوت**.

١٧ ـ **في بيتنا خادمة**، دار القاسم ـ الرياض.

١٨ ـ أ. بثينة السيد العراقي: **حكايتي مع شغالتي**، دار طويق ـ الرياض، ٢٠٠٠م.

١٩ ـ أ. أحمد بن سالم بادويلان: **ضحايا الخدم**، دار الحضارة للنشر ـ الرياض، ٢٠٠٥م.

٢٠ ـ أ. محيي الدين عبد الحميد: **في بيوتنا قنابل موقوتة**، الخدمات الحديثة ـ جدة.

٢١ ـ أ. منيرة اليامي: **بيوتنا بلا خادمات**، الدار العربية للعلوم ناشرون ـ بيروت، ٢٠١٤م.

٢٣ ـ **بيت لا شغالة.. تجارب ناجحة**، دار الحضارة للنشر ـ الرياض، ١٤٢٨هـ.

٢٤ ـ د. حمد زيد الزيد: **قصص وحكايات عن السائقين والخادمات**، مكتبة كنوز المعرفة ـ جدة، ١٤٣١هـ.

٢٥ ـ أ. صالح بن عبد الله العثيم: **سيدة البيت الجديدة.. (الخادمة ما لها وما عليها)**، دار القاسم للنشر ـ الرياض.

* * *

مؤلَّفات
الدكتور حسّان شمسي باشا

منشورات دار القلم ـ دمشق، دار البشير ـ جدة، مكتبة السوادي ـ جدة، دار المنارة ـ جدة:

- **في أمراض القلب:**

١ ـ كيف تقي نفسك من أمراض القلب؟ (الطبعة السادسة).

٢ ـ ارتفاع ضغط الدم (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الدهون.. والكولسترول.. والقلب (الطبعة السادسة).

٤ ـ قلبك بين الصحة والمرض (الطبعة الثانية).

٥ ـ دليلك إلى عمليات القلب الجراحية، بالاشتراك مع الدكتور عبد الله عشميق والدكتور وليد أبو خضير (الطبعة الثالثة).

٦ ـ دليلك إلى القسطرة القلبية، بالاشتراك مع الدكتور خالد الشيبي والدكتور وقار حبيب (الطبعة الثالثة).

٧ ـ دليلك إلى كهربائية القلب، بالاشتراك مع الدكتور رائد سويدان والدكتور فائز بخاري (الطبعة الثانية).

٨ ـ الوقاية من أمراض القلب، بالاشتراك مع البروفسور منصور النزهة (كتيب المجلة العربية، العدد الخامس والثلاثون، فبراير ٢٠٠٠م).

٩ ـ الوقاية من الحمى الروماتيزمية.

١٠ ـ الوقاية من أمراض شرايين القلب التاجية.

- **في الصحة العامة:**

١ ـ وصايا طبيب (الطبعة الرابعة).

٢ ـ الثقافة الصحية متعة الحياة.

٣ ـ شبابك كيف تحافظ عليه؟.

٤ ـ صحتك بين الحقائق والأوهام.

٥ ـ كيف تتخلص من الصداع؟ (الطبعة الثانية).

٦ ـ كيف تتخلص من الإمساك؟ (الطبعة الثانية).

٧ ـ أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر.

٨ ـ القهوة والشاي: فوائدها وأضرارها (الطبعة الثالثة).

٩ ـ الميلاتونين: هل هو الدواء السحري؟.

١٠ ـ القشرة والصلع والشيب والحناء.

١١ ـ حذار حذار من هذه الكتب.

- **في الطب النبوي:**

١ ـ قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة (الطبعة الثالثة).

٢ ـ زيت الزيتون بين الطب والقرآن (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت (الطبعة الثالثة).

٤ ـ النوم والأرق والأحلام.. بين الطب والقرآن (الطبعة الثالثة).

٥ ـ الأسودان: التمر والماء (الطبعة الرابعة).

٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن والسُّنَّة (كتيب المجلة العربية).

٧ ـ معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي (الطبعة السابعة).

٨ ـ الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث (الطبعة السابعة).

٩ ـ الأسرار الطبية الحديثة في الثوم والبصل (الطبعة الرابعة).

١٠ ـ الرضاعة من لبن الأم (الطبعة الثانية).

١١ ـ أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث (الطبعة الثانية).

١٢ ـ الطب النبوي بين العلم والإعجاز (الطبعة الثانية).

- **قضايا طبية فقهية:**

١ ـ الدليل الطبي والفقهي للمريض في شهر الصيام.

٢ ـ الصوم بين الفِقه والطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.

٣ ـ صحتك في الحج والعمرة (الطبعة الثالثة).

٤ ـ صوموا تصحوا (الطبعة الثالثة).

٥ ـ رمضان بين يديك (بالاشتراك مع عدد من المؤلفين)، دار العلوم ـ عمان.

- **أخلاقيات الطب:**

١ ـ مسـؤولية الطبيب بين الفِقه والقانون، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار (الطبعة الثانية).

٢ ـ الرعاية الصحية.. مشـاكل وحلول، بالاشـتراك مع الدكتور محمد علي البار والدكتور عدنان أحمد البار.

٣ ـ أخلاقيات البحوث الطبية، بالاشـتراك مع الدكتور محمد علي البار.

٤ ـ موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والدكتور عدنان أحمد البار.

- **في الأدب والتاريخ:**

١ ـ هكذا كانوا يوم كنا (الطبعة الثانية).

٢ ـ الداء والدواء بين الأطباء والأدباء (الطبعة الثانية).

- **في التربية والسلوك:**

١ ـ أسعد نفسك وأسعد الآخرين (الطبعة السابعة عشرة).

٢ ـ كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟ (الطبعة الثامنة عشرة).

٣ ـ همسة في أذن شاب (الطبعة العشرون).

٤ ـ همسة في أذن فتاة (الطبعة الحادية والعشرون).

- **سلسلة ألف ليلة وليلة للأسرة السعيدة:**

١ ـ سهرة عائلية في رياض الجنة (الطبعة الخامسة).

٢ ـ عندما يحلو المساء (الطبعة الرابعة).

٣ ـ قلوب تهوى العطاء.

٤ ـ همسة في أذن زوجين.

٥ ـ قمم تهوى النجاح.

٦ ـ عندما يشرق الصباح.

- **كتب باللغة الإنجليزية:**

1 - Hope Heart Care Handbook, Manchester Free Press, Manchester, 1987.

2 - Handbook of Coronary Care, Blackwell Scientific Publication 1990, London.

3 - Patient's Guide to Heart Disease. Dar Al - Manara, Jeddah, 1997.

4 - Contemporary Bioethics: Islamic Perspective (with Dr. Mohammed Ali Albar).

* * *

الفهرس

- مقدمـــة ٥

١ ـ لماذا الخدم في البيوت؟ ١٣

٢ ـ اختيار الخادمة ١٧

٣ ـ هل هناك من مخاطر؟ ٢٠

- خطورة على الأبناء ٢١
- خطر الخادمات على الجوانب الأُسرية ٢٤
- سلبيات نفسية ٢٥
- سلبيات صحية ٢٦
- تأثيرات على المجتمع ٢٧
- خطر الخدم غير المسلمين على العقيدة ٢٨
- مخالفات عقدية عند الخادمات المسلمات ٣٠

٤ ـ أطفالكم والخادمات ٣١

- صفاء الأطفال وسرعة تقبُّلهم ٣١
- كيف تتخطّى الأُم هذه المشكلة؟ ٣٤
- تأثيرات سلبية على نفسية الطفل ٣٥
- كيف القضاء على تلك التأثيرات ٣٦
- خطر الخادمات على الثقافة واللغة العربية ٣٧

٥ ـ جرائم الخادمات ٣٨

٦ ـ مخاطر على الزوج والأبناء ٤٣
- الحشمة.. الحشمة ٤٣
- الخلوة المحرمة ٤٤

٧ ـ معاملة الخدم في الحضارة الإسلامية ٤٧
- مع الهدي النبوي ٤٧
- صورٌ من معاملة الصحابة للخدم ٥١

٨ ـ ما هي حقوق الخدم؟ ٥٣
- ارفقوا بهم وأحسنوا معاملتهم ٥٥
- اعفوا واصفحوا ٥٦
- راعي ظروفها الصحية والنفسية ٥٧
- وفِّري لها السكن المناسب وما تحتاجه من الأمور المهمة ٥٨
- أعطوا الأجير أجره ٥٨
- تصدقي على الخادمة ٥٩
- تابعي الخادمة في دينها ٦٠
- أدخلي السرور على نفسها ٦١
- إياك وسبّها أو ضربها أو إهانتها ٦١
- أطعميها من طعامك وشرابك ٦٣
- صوني خادمتك من السرقة ٦٤
- ادعوا للخدم ولا تدعوا عليهم ٦٥
- تذكر أن الجزاء من جنس العمل ٦٦

٩ ـ طرق إبداعية للتعامل مع الخادمة ٦٧

١٠ ـ ارحموهنّ ٧٥

١١ ـ لا تهينوهن ٧٩

١٢ ـ كوني داعية في بيتك ٨٢

١٣ ـ دعوة المظلوم ٨٦

١٤ ـ هل يمكن التخلص من الخادمة؟ ٩١

١٥ ـ فتنة السائق ٩٩

- خطر الخدم والسائقين على المحارم والأعراض ١٠٢
- كيف تدرئين الخطر؟ ١٠٧
- السائق والأطفال ١١١
- نصائح لأولياء الأمور ١١٦

- المراجع ١١٨
- مؤلَّفـات الدكتور حسَّان شمسي باشا ١٢١
- الفهرس ١٢٦

* * *